أدب الطفل بين الإنسانية والصهيونية في رواية (אני לא גנב أنا لست لصا) لتمي شيم- طوف[١] دراسة في الشكل والمضمون

د. رهام سيد عطية[*]

مقدمة

قصد البحث المزيد من التوضيح والإجلاء لاتجاهات أدب الطفل العبري الحديث، فقد تم تناول موضوع الطفل كمضمون واتجاه في الأدب العبري الحديث في عدد من الأبحاث والأطروحات العلمية، وقد تميز النموذج المعروض للدراسة في البحث وهو رواية (**אני לא גנב** أنا لست لصا) لـ (تمي شيم– طوف **תמי שם טוב**) بكونه نموذجا معاصرا حيث تم نشره في عام ٢٠١٢، كما تميز بتناوله لشخصية حقيقية اهتمت في حقبة من الزمان بالطفل ومتطلباته النفسية والعضوية، وسوف يتبع البحث (المنهج التحليلي النقدي) ويشمل المنهج التحليلي المنهج النفسي والاجتماعي في تحليل مضامين الرواية وثبر غور المضمون وتجليته، وكذا في نقد العناصر الفنية والأسلوبية التي صاغت هذا المضمون وعبرت عنه، وسيتبع البحث كذلك (المنهج التاريخي) من خلال عرض لنبذة عن تاريخ (يانوش كورتشاك)[٢].

* – مدرس اللغة العبرية الحديثة وآدابها – قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب – جامعة القاهرة .

تجدر الإشارة هنا إلى الأسباب العلمية التي أدت لاختيار الموضوع، إذ أن أهمية هذه الرواية تنبع من حصولها على أربع جوائز أدبية دفعة واحدة، جائزة موقع (دف دف) لأدب الأطفال في عام ٢٠١٢، وجائزة (ليئة جولدبرج **לאה גולדברג**) [٣] لأدب الأطفال في عام ٢٠١٣، وجائزة (بياليك **ביאליק**) [٤] لأدب الطفل في عام ٢٠١٤، وحصلت في العام ذاته على جائزة أندرسون وهي جائزة عالمية في أدب الأطفال سميت على اسم أحد أشهر كتاب الأطفال (كريستيان أندرسون) وتهبها ملكة الدنمارك لكل من يقدم إسهاما أدبيا غير مسبوق في هذا المجال، وهو ما يلفت الانتباه إلي الرواية وإلى ما تحمله من أفكار.

الدراسات السابقة

طرق عدد من الباحثين موضوع أدب الطفل العبري الحديث في عدد من الرسائل العلمية والأبحاث من بينها على سبيل المثال لا الحصر:

* إبراهيم البحراوي (رئيس فريق بحثي): مفاهيم وثقافة الصراع والعدوان في أدب الأطفال الإسرائيلي ومقررات التعليم الإسرائيلية، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس ٢٠٠٢.
* أيمن أحمد عطية: قصص الطفل عند ليئة جولدبرج دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، ٢٠٠٧.
*زين العابدين محمود حسن: شعر ليئة جولدبرج بين النظرية والتطبيق، مجلة الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ١٩٨٤.
*سناء عبد اللطيف: الاتجاهات الأيديولوجية في أدب الأطفال العبري في إسرائيل، رسالة دكتوراه ، جامعة عين شمس، كلية الآداب، ١٩٩٢م.
* ـــــــ: الأسطورة الشعبية في أدب الأطفال العبري دراسة في المضمون والسمات الأسلوبية، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، ٢٠٠٣.

تجدر الإشارة إلى أن هذه الأبحاث والرسائل العلمية جميعا تتحدث عن أدب الطفل العبري الحديث باتجاهاته وتوجهاته، إلا أنها لم تتناول من قريب أو بعيد الرواية موضوع البحث فقد صدرت بتاريخ متأخر عن ورود هذه الدراسات.

تمهيد

١- اتجاهات أدب الطفل العبري الحديث

تعددت الاتجاهات التي يعرضها أدب الطفل العبري الحديث، كما تنوعت الأجناس الأدبية شعرا ونثرا، إذ تناول أدب الطفل موضوعات التربية والوعظ، وانتقاد وسائل التعلم، والتأكيد على حقوق الطفل وضرورة مراعاة نفسيته، بالإضافة إلى بث بعض الاتجاهات الصهيونية في ثنايا ذلك، إما بالرجوع إلى التاريخ أو التأكيد على بعض السلوكيات والصفات التي ينبغي على اليهودي التحلي بها، وبثها في عقل الطفل ووجدانه في صورة الحكاية أو الأنشودة، ولا يتسع المجال لحصرها جميعا[٥] ، ولكن يمكننا الإشارة إلى عدد منها للتأكيد على اتجاهات هذا الأدب وتطوره من حيث الشكل والمضمون، وهي تنقسم هنا إلى:

١– قصص وأشعار موجهة مباشرة للطفل تأتي في شكل الحكاية أوالأنشودة.

٢–أعمال أدبية أخرى يقوم فيها الطفل بدور الراوي أو دور البطل أو كلاهما معا، ويمكننا تقسيم بعض موضوعات أدب الطفل وعرض نماذج منها كالآتي:

أولا: السخرية من انتفاء القيم التربوية في التعامل مع الطفل

تطل علينا هذه السمة من خلال معاناة أحد الأطفال الذي يواجه مشكلة في نطق بعض الحروف، فهو ينطق القاف والكاف طاء وينطق الجيم دالا، ويعيش معاناة كاملة بسبب أن اسمه واسم جده يبدآن بحرف القاف، بينما يبدأ اسم والده بحرف الجيم، فيصبح سخرية الأطفال حين يضطر إلى نطق اسمه في الفصل، أو يضطر إلى نطق اسم معلمه الذي يبدأ هو الآخر بالجيم، بل ويتعرض للضرب والإهانة من معلميه، ومن أهله بسبب هذا الخطأ الذي لا حيلة له فيه، وهذه القصة الحزينة لهذا الطفل البائس تصاغ مترجمة عن اليبدش في قصة (**הדגל** العلم) للكاتب (شالوم عليخم **שלום עליכם**)[٦]:

"לא ביכולתי לבטא קו'ף וכ'ף וגימ'ל... קראו לי: קוֹפֶּל בן גיטל קלמן והרבי שלי גֶּרשוֹן גְּרוֹנֶרת דַרְדַקי מְגַלְגַניקֶה .

ילד, מה שמך –?

שמי? טופֶּל בן דיטֶל טַלמן –

הֵרם קצת את קולך –

טופל בן דיטל טלמן –

יותר חזק –

אני צועק בקול רם: טו – פֶּל בן די – טֶל –טל – מן !

אצל מי אני לומד ?

אצל דֶרשון דַרדֶרת מדַלדַניטֶה .

כולם צוחקים. כולם צוחקים ואני בוכה." (٧)

"ليس في استطاعتي نطق القوف والكاف والجيميل... ويدعونني: قوبيل بن جيطل قلمان، والحاخام الذي يعلمني هو جرشون جروجيرت دردقي مجلجنيقا.

ما اسمك أيها الفتى؟

اسمي؟ طوبيل بن ديطل طلمان.

أرفع صوتك قليلا.

طوبيل بن ديطل طلمان.

أعلى

صحت بصوت مرتفع: طو– بيل بن دي – طل– طل – مان.

وعمن أتعلم على يديه؟

عند درشون دروديرت مدلدنيطا

ضحك الجميع وبكيت أنا."

وإمعانا في عرض معاناة هذا الطفل المنكوب، يضيف إلى عجزه هذا عجزا آخر هو فقره الشديد الذي يقف حائلا أمام شرائه لعلم صغير يرفعه في العيد ويلهو به فرحا نشوانا، فهو يعبر عن خيبة أمله قائلا:

"**שיהיה לי דגל משלי ... על אושר כזה מלא וטוב, אף לא העזתי לחשוב**." [٨]

"أن يكون لدي علم يخصني... على سعادة عظيمة وغامرة كهذه لم أكن أجرؤ على مجرد التفكير."

وصف لنا الطفل راوي الأحداث في الفقرة السابقة معاناته ببساطة ويسر دون مواربة أو تلميح، إذ يرى وهو الصغير الحالم أن سعادة اقتنائه لعلم كهذا هي سعادة غامرة وعظيمة، إلا أن هذا الطلب البسيط الذي يجعله في قمة نشوته لا يستطيع حتى التفكير فيه لضيق ذات اليد.

ثانيا: **اقحام شخوص العهد القديم في رواية قصص الأطفال**

اعتمد بعض الأدباء على قصص عن شخصيات العهد القديم في رواية القصة للطفل، ف (بياليك) الذي يلقب بالشاعر "القومي" يخوض غمار أدب الطفل، مما يضفي عددا من علامات الاستفهام حول مضمون أعماله الأدبية الموجهة للطفل، والتي تعود إلى ماض التاريخ وحوادثه لإضفاء الفخار على الحاضر بربطه بالماضي، وكذا الاستناد على حائط البطولات وتناول الشخصيات التاريخية والدينية، وهو ينتهج نهجا خاصا في استقاء القصص عن "داود"[٩] و"سليمان"[١٠] في مجموعته القصصية للأطفال (**ויהי היום** حان اليوم)، حتى أنه يستخدم السرد القصصي للعهد القديم باستخدام واو القلب فنجده يقول في بداية إحدى قصصه راويا عن المللك "سليمان":

"**ויהי היום וישכב שלמה בגנו, לנום את תנומת הצהריים, ושני שומרי ראשו עומדים עליו דומם מראשותיו ומנפנפים במניפות, להשיב מעליו את הזבובים**." [١١]

"ذات يوم جلس الملك "سليمان" في حديقته ليرقد في وقت القيلولة، ويقف حراسه في صمت عند رأسه يلوحون بالمراوح ليذبوا عنه الذباب."

تعبر الفقرة الفائتة عن مدى الثراء الذي يحياه الملك "سليمان" في قصره وسط حديقته، ويقف خدامه وحراسه ليذبوا الذباب عن وجهه ليرقد مرتاحا عزيزا، فيرسم للأطفال منذ البداية حياة العزة والنعيم التي عاشها الملك "سليمان" في سابق الأيام، ويحكي كذلك قصة "عربا" و" راعوث" المؤابيتين اللتان تزوجا من بني إسرائيل،وكانت "راعوث" هي جدة داود عليه السلام ، فيصبغ عليهما من إيجابيات الصفات قائلا:

"ערפה ורות המואביות אחיות בנות אב אחד היו, בנות עגלון מלך מואב, ושתיהן נערות יפהפיות ונחמדות למראה ... ותהי עורפה הוללה וסוררת ועזת–נפש מעודה כבכרה קלה, ורות היתה תמה וצנועה וחרדה כאילת השדה." [١٢]

"كانت "عربا" و"راعوث" المؤابيتين أختين من أب واحد، هن بنات "عجلون" ملك مؤاب، وكلتاهما فتاة جميلة وبديعة المظهر... وكانت "عربا" بهية مشرقة وقوية الشخصية منذ نعومة أظفارها، أما "راعوث" فقد كانت ساذجة متواضعة رقيقة وشامخة كالنخلة في الحقل."

ثالثا: بث الروح العدوانية والتوظيف التاريخي

بدت الدعوة للعنف في مقطوعات شعرية لألترمان **אלתרמן** [١٣] بعنوان (**זה היה בחנוכה או נס היה פה** كان هذا في عيد الحانوكا أو حدثت معجزة هنا) محاولات لتوجيه فكر الطفل إلى العنف، وإلى أهمية الحرب والنضال، فيجعل من أدوات المنزل وأثاثه جنودا في الحرب بين اليونانيين واليهود، ليصل في نهاية الأنشودة، إلى مدى قوة اليهود وضعف أعدائهم:

אָז אָמַר הַמַּטְאֲטֵא :	**حينها قالت المكنسة:**
נַעֲרֹךְ נָא חֲגִיגָה	**هيا نقيم احتفالا**
וְנַרְאֶה לוֹ לַשּׁוֹטֶה ,	**ونريه هذا الغبي**

אֶת מִשְׂחַק הַחֲנֻכָּה ![١٤] **مسرحية**[١٣] **الحانوكا**

جعل (ألترمان) المكنسة هي المبادرة باقتراح الاحتفال بعيد الحانوكا، من خلال تمثيل مشهد مسرحي يعكس الحرب، وكانت هي التي تختار شخصيات المسرحية التي تدور أحداثها حول قصة الحرب بين المكابيين واليونانيين، وعلى طول المقطوعة الشعرية توزع المكنسة الأدوار على الرحب والسعة، إلى أن أتى زمن توزيع أدوار الأعداء من اليونانيين فلم يتشجع أحد لعلمهم بأنهم هم المهزومون المدحورون:

אַךְ סוֹף סוֹף הִגִּיעַ עַד	**وفي النهاية وصل إلى**
הַיְוָנִים... וּפֹה עָמַד !	**اليونانيين وهنا توقف!**
אַף אֶחָד אֵינוֹ חוֹטֵף ,	**ولم يتلهف أحد**
כָּל אֶחָד רוֹצֶה לִבְכּוֹת ...	**وأراد الجميع البكاء**
כִּי כֻּלָּם יוֹדְעִים הֵיטֵב –	**فجميعهم يدركون جيدا**
הַיְוָנִים קִבְּלוּ מַכּוֹת ...[١٥]	**أن اليونانيين هم من تلقوا الضربات**

ولا يخفى من خلال هذه الأبيات محاولة الشاعر إضفاء روح القدسية على حروب اليهود، وتأييد فكرة الحرب والانتصار وزرعها في عقول الصغار كدلالة على الفخار[١٦] **، بالإضافة إلى تجسيد هزيمة الأعداء في شكل ضربات موجعة مؤلمة، ويربط لنا الشاعر بين فكرة العيد الديني الذي ينتظره الأطفال بلهفة مبهورين، وبين فكرة الحرب المقدسة، ليربط في المخزون اللاشعوري للطفل بين فكرة البهجة ونشوة الانتصار، وفكرة كون الفرد جنديا منتصرا في معركة حامية الوطيس تكون نتائجها وبالا على الأعداء، ونجد هنا مبالغة واضحة من خلال إضفاء القدسية الدينية على العيد لإضفاء مزيدا من التحقير على الأعداء فهم ليسوا مجرد أنداد في حرب، بل إنهم أعداء الدين وأعداء الله.** [١٧]

رابعا: الخيال المعبر عن آمال الطفل وأحلامه

يؤكد النقاد أن فترة الطفولة فترة مبهرة، وإن من الخطأ تضييعها على الأطفال بسخف عالم الكبار دون محاولة فهمهم، واحتضان آمالهم، واحتوائهم، وتوسيع أفقهم، وأن الأدباء في قصصهم للأطفال يأخذونهم إلى عالم سحري خيالي يحبون التواجد داخله، ومن هنا تنبع أهمية أدب الطفل. [١٨]

نجد شاعرة مثل (ليئة جولدبرج) تسوق لنا أحلام الأطفال[١٩] التي تجاوز الواقع نحو خيال أشبه بالحلم، وتصوغ ذلك من خلال تلك الفتاة الصغيرة بطلة مقطوعتها الشعرية (**כובע קסמים** الطاقية السحرية) التي تحلم بأن تكبر لتفوق الكبار في قدرتهم على اتخاذ القرار، والمشاركة في الحوار، ولا ترى سبيلا لهذا سوى في أن تسرح بذهنها في عالم الوهم وتتخيل طاقية سحرية ترتديها لتحقق ما تريد حيث تصبح أكبر حجما من الجميع، فيستمع لها الجميع، فنجدها تقول متمنية :

כל הימים, כל הימים	**طيلة الأيام، طيلة الأيام**
חולמת אני על כובע קסמים .	**أحلم بالطاقية السحرية**
כובע קטן, מקושט נוצה ,	**طاقية صغيرة مزركشة لامعة**
העושה כל מה שאני רוצה .[٢٠]	**تفعل كل ما أريد**
אחבוש אותו ואומר, למשל :	**سوف أبحث عنها وأقول على سبيل**
''כובע, עשה שאני אגדל ''![٢١]	**المثال:**
	أيتها القبعة أجعليني أكبر
ואמא בערב כבר לא תאמר :	**ولن تقول أمي في المساء:**
''לכי לישון כבר מאוחר ''!	**أذهبي لتنامي فالوقت متأخر**
ואבא לא עוד יגער במילים :	**وأبي لن يصيح قائلا:**
''אל תתערבי בשיחת הגדולים ''!	**لا تتدخلي في حديث الكبار**
וכשאדבר יקשיבו כולם	**وعندما أتحدث سينصتون جميعا**
כי אני הגדולה בכל העולם .[٢٢]	**لأنني أكبر واحدة بالعالم.**

ولا يخفى ما تشير إليه الأبيات السابقة من معاناة الصغار من معاملة الكبار، وإحساسهم أن الكبير هو الواصي على كل سلوكياتهم وتصرفاتهم، ويبدو جليا ما تدعو إليه الأبيات ضمنيا من مبادئ تربوية وتعليمية تتمثل في إتاحة فرصة للأطفال للتعبير عن رغباتهم، وعدم مهاجمة تطلعاتهم، وحثهم على اتخاذ القرار دون فرضية من ولي الأمر حتى يصير هذا الحلم بعيد المنال بالنسبة لهذه الطفلة الحالمة واقعا جميلا لتحب طفولتها وتعيشها باستمتاع كما تريد ليس كما يريد لها الآخرون، فمساحة الاختيار وإبداء الرأي والمشاركة في الحوار يجب أن توهب للطفل حتى تكتمل سعادته، ويشعر بأهميته.

خامسا: **تقديم العبرة على ألسنة الحيوان**

يبدو واضحا تأثير كتاب (كليلة ودمنة) في بعض نماذج أدب الطفل العبري الحديث، هذا الكتاب الذي أنطق الحيوان، وقدم العبرة والموعظة على ألسنتهم، فمثلما يستخدم الشعراء اليهود الأطفال كأبطال لأعمالهم الأدبية، وكذا يحركون أثاث البيت وأدوات المنزل ويجعلونها تنطق وتتحرك للفت انتباه الطفل إلى الحكاية، يستخدمون كذلك الحيوانات كالدب والفأر وغيرهما في صياغة الحكاية لجعل الطفل يلتفت للصورة المرسومة داخل كتاب الحكايات كعتبة نصية ويتفاعل مع المحتوى بشغف ومتابعة، فنجد (حيا شنهاف **חיה שנהב**)[٢٣] تصوغ مقطوعة شعرية عن الدب (دوبيليه) الذي يبحث له عن بيت، ويجد أخيرا صندوقا خشبيا مفتوحا من إحدى جوانبه، فيدخل فيه من فتحته العلوية الموجهة نحو السماء، فيضايقه المطر الذي ينهمر عليه من أعلى، وتشجع الشاعرة الطفل على الابتكار والتفكيرلإيجاد حل لكل مشكلة من خلال قلب الدب (دوبيليه) للصندوق ليجعل فتحته جانبية، فتزعجه الرياح، فإذا به يقلب صندوقه رأسا على عقب حتى يجعل الفتحة ناحية الأرض، فيغدو البيت ظلاما حالكا لا يدخله النور، وهنا توضح الشاعرة أن الحل يتأتى من خلال الاستعانة بالفأر ليقرض له الخشب منجزا فتحتين في الجدار كنافذتين، وفتحة أخرى للباب، وعمل باب يتم فتحه وإغلاقه من بقايا الأخشاب، ولكن الشاعرة تنبه أن هناك ثمن دائما لتلقي المساعدة من الآخرين، فكل من ساعد (دوبيليه) بشيء كان المقابل أن يشاركه

الحياة داخل البيت، حتى ازدحم البيت وأصبح من الصعوبة بمكان العيش داخله، وتتبلور هنا وجهة نظر جديدة في معالجة المشكلة الجديدة بأن يغادر (دوبيليه) البيت المزدحم ليبحث لنفسه عن صندوق آخر بعد أن حصل على خبرات متراكمة من تعامله مع الآخرين، فنقرأ في بداية المقطوعة الشعرية التبشير بحصول الدب على البيت، ثم مواجهته لأول مشكلة، والتعامل معها بإيجاد الحل:

דֻּבִילָה מָצְאָה בִּגִינָה אַרְגָּז גָּדוֹל.
הִוא נִכְנַס פְּנִימָה וְאָמַר:
זֶה יִהְיֶה הַבַּיִת שֶׁלִּי
אֵיזֶה בַּיִת, אֵיזֶה בַּיִת,
דֻּבִילָה מָצְאָה לוֹ בַּיִת.
פִּתְאוֹם יָרַד גֶּשֶׁם חָזָק וְדֻּבִילָה נִרְטַב לְגַמְרֵי.
כִּי לֹא הָיָה גַּג לַבַּיִת שֶׁלּוֹ.

عثر (دوبيليه) في الحديقة على صندوق كبير
ودلف إلى الداخل وقال:
سيكون هذا بيتي
يا له من بيت، ياله من بيت
عثر (دوبيليه) لنفسه على بيت
وفجأة هطل مطر شديد وابتل (دوبيليه) تماما
فليس هناك سقف لبيته

מָה לַעֲשׂוֹת?
דֻּבִילָה יָצָא הַחוּצָה וְהָפַךְ אֶת הָאַרְגָּז לְצַד אַחֵר.
עַכְשָׁיו הָיָה גַּג לַבַּיִת שֶׁלּוֹ. (٢٤)

ما العمل؟
اتجه (دوبيليه) إلى الخارج وقلب الصندوق على الجانب الآخر
وصار لبيته سقفا الآن.

وتنتهي المقطوعة الشعرية بإيجاده لحل جديد لآخر مشكلاته بعد ازدحام البيت بالسكان، وانسحابه ليبدأ حياة جديدة في بيت جديد حاملا معه خبراته القديمة التي حتما ستساعده على تلافي أخطاء الماضي لتنتهي المقطوعة بالبيت المتكرر نفسه، الذي أكدت من خلاله على المعنى وأشارت إلى أهمية القضية المطروحة:

אֵיזֶה בַּיִת, אֵיזֶה בַּיִת,
דֻּבִילָה מָצְאָה לוֹ בַּיִת. (٢٥)

يا له من بيت، ياله من بيت
عثر (دوبيليه) لنفسه على بيت

تجلى أمامنا من المقطوعات السابقة كيفية اعتماد إحدى الشاعرات الإسرائيليات على إنطاق الحيوان، وكذا اعتمادها على الشعر القصصي في رواية حكاية للطفل، وإذا كان الأسلوب الشيق، والصورة اللافتة للانتباه، وكذا الاعتماد على الحكاية تعد وسائلا اعتمدت عليها الشاعرة، فإن الهدف من وراء ذلك بث مجموعة من القيم والسلوكيات المحمودة عبر سطور شعرها، من نبذ اليأس، والصمود والتحدي، والمثابرة رغبة في التوصل لحلول للمشكلات الصعبة.

ومن خلال العرض السابق يمكننا الوقوف على أهم اتجاهات أدب الطفل في الأعمال الأدبية العبرية، والتي يمكننا تحديدها في ثلاثة محاور رئيسة:

المحور الأول: التأكيد على مجموعة من المباديء التربوية في صياغة شخصية الطفل وترسيخها بالعديد من الوسائل:

١- المثابرة والتحدي، وتكرار المحاولة وعدم الركون لليأس، وهذا رغم المشكلات التي قد تعصف بالإنسان.

٢- تقبل العون والتعاون البناء مع تحقيق مكاسب مشتركة.

٣- توظيف الضعف الإنساني كدافع لتحقيق آمال كبار.

٤- توظيف التاريخ وحكاياته، والاستناد إلى حائط البطولات لبث روح الأصالة وتوثيق عرى الارتباط بالماضي وأمجاده .

٥- توظيف اللغة من خلال السرد المشوق في القصة أو اللحن البراق في الأنشودة ، وكذا الأسلوب الفكاهي الساخر لجذب انتباه الأطفال للمتابعة، مما يصل بهم إلى أعلى درجات التأثر.

٦- إنطاق الجماد وتوظيف الحوار بين الجمادات لتحقيق المتعة والإثارة والتشويق.

٧- توظيف الشخصية من خلال جعلها محورا في بعض الأعمال، وهي شخصية طفولية تقابل شخصية البطل الضد في الأعمال الإبداعية للكبار لإثارة التعاطف لدى الطفل

وترسيخ الحكمة أو الموعظة المراد التأكيد عليها، وزرع هذه الشخصية في أعماق وجدان الطفل.

٨- توجيه النقد لوسائل التدريس، من خلال السخرية اللاذعة والموقف الفكاهي.

٩- الاعتماد على العهد القديم والأجادا (الأساطير المرتبطة به) كوسائل لتحقيق هذه الغاية التربوية الوعظية[٢٦] ، ويتوافق هذا الاتجاه مع مكونات الشخصية اليهودية التي تربط دائما بين التاريخ والدين، وينعكس كل هذا في أدب الطفل العبري الحديث.

المحور الثاني: التأكيد على حقوق الطفل وضرورة الالتزام بها.

المحور الثالث: غرس الايدلوجيات الصهيونية في عقل الطفل ووجدانه ، فلعل أكثر الأمور المطروحة غرابة في أدب الطفل العبري الحديث والمعاصر، أنه وسط هذا الكم الهائل من المحظورات التي يضعها الكتاب والشعراء في وجه كل من تسول له نفسه الإساءة إلى الطفل، وكل هذا الفيض الغزير من الإنسانية الفريدة والشعور الإنساني المجرد، ووسط هذا العرض المسهب للمبادئ والقيم السامية من المساواة ورفض الظلم، يطل علينا التعصب بأنيابه، فنجد زرعاً للكراهية في الوجدان وتباكياً على مآسي الماضي، واستدراراً لتعاطف الأمم مع اليهود من خلال الحديث عن الأحداث النازية، وعن وحشية الأغيار، وعن تميز اليهود وقوة تحملهم وفرط صبرهم وطول أناتهم، فتتحول القضية الإنسانية العامة إلى قضية غاية في الخصوصية، ويتحول الطفل إلى وسيلة، وتتحول مآسيه إلى إعلام مضاد، وإلى إعلان عن حق اليهود في الدولة وقيامها، وإلى ترسيخ منذ الصغر في وجدان الطفل اليهودي لعناصر الكراهية والتعصب والتأزم النفسي.

٢- نبذة تاريخية عن (يانوش كورتشاك)

شخصية (كورتشاك واسمه الحقيقي هنريك جولدشميت) [٢٧] يحفل تاريخها بالثناء والإطراء، وهذا لما بذله من جهد محمود في محاولات إنسانية مشهود لها لاستيعاب أعداد من اليتامى والفقراء والمرضى والمحتاجين من الأطفال في دار أيتامه في بولندا، وإن كان قد استوعب في دار الأيتام خاصته أطفال اليهود باعتباره يهوديا بولنديا، فقد أشرف على عدد

من دور الأيتام التي تستوعب أطفالا مسيحيين، كما أقام دارا آخر للأيتام لكل أطفال بولندا، وأدار برامجا إذاعية تخاطب الطفل وتهتم لحل مشكلاته، وتواسيه في معاناته، وكان كاتبا وتربويا كتب العديد من قصص الأطفال، كما كتب كتبا تربوية عن كيفية التعامل مع الطفل وتنشئته، وقد أقام دوره للأيتام في بولندا على مباديء مهمة من الاعتماد على النفس والحرية في الاختيار واتخاذ القرارات مع سن مجموعة من المبادئ والقواعد المنظمة لحياة الأطفال فيه[٢٨] ، وإن كان هذا مما يشار إليه بالبنان من ناحية التنظيم والتربية والتأهيل للأطفال، فيضاف إليه فخامة الدار ونظافته وتميزه، مما يدل على احترام "كورتشاك" لآدمية الإنسان وحقه في المعيشة الكريمة، ويعد (يانوش كورتشاك من مواليد وارسو ببولندا ١٨٧٨: ١٩٤٢) أحد كبار التربويين في النصف الأول من القرن العشرين، وهو طبيب للأطفال ولد لعائلة ثرية ومندمجة في المجتمع البولندي، وأقام مكاناً متميزاً لإيواء الأطفال نفسيا وجسدياً بمساعدة مخلصة من السيدة (ستيفا סטפה) [٢٩] التي كان لها اهتمام بالمجال ذاته[٣٠] ، وقد ساهم في علاج عدد من الأطفال اليهود وغيرهم من أطفال بولندا، وقد كان جل اهتمامه بحقوق الطفل التي صاغها في ميثاق لملجأه شمل عددا من البنود، وأكد عليها في عدد من الكتب والقصص التي تتحدث عن حقوق الطفل وكيفية التعامل معه، ويضم ميثاق ملجأه لحقوق الطفل البنود الآتية:

١- حق الطفل في الحب، أن يحب وأن يكون محبوباً.

٢- حق الطفل في الكرامة من خلال وضع معايير صارمة للحد من تسلط الكبار واستخدام أسلوب العقاب القاسي

٣- حق الطفل في القضاء على الظروف المعوقة لتنشئته وتربيته ونموه بشكل صحي سليم، كالقضاء على الفقر والجوع والاستغلال والوحشية...إلخ.

٤- حق الطفل في معايشة الواقع وفهمه، فالأطفال كما يرى التربويون ليسوا رجال الغد إلا إذا أمكنهم بعض الشيء أن يكونوا رجال اليوم.

٥- حق الطفل في أن يعبر عن ذاته بأن يبدع ويثاب ويحصد الجوائز ... إلخ.

٦- حق الطفل في الخطأ والفشل.

٧- حق الطفل في توجيه النقد والدفاع عن النفس، ومعارضة الظلم وإبداء الرأي.

٨- حق الطفل في احترام أسراره.

٩- حق الطفل في التعليم وفي المشاركة في صنع المستقبل.

١٠- حق الطفل في الرأفة والرحمة، فينبغي على الكبار أن يكونوا نصاح ومستشارين قبل أن يكونوا حكاماً وقضاة.

١١- حق الطفل في السعادة والتفاؤل بزرع الود والتفاهم من حوله، وكذا حقه في الحلم والتخيل والتأمل.

١٢- حق الطفل في المساواة، وذلك بالتأكيد على أن الكبير ليس أفضل من الصغير وأن السن ليس هو معيار الحكم بالأفضلية والتميز، وكذا الجنس واللون والانتماء إلى وطن بعينه ... إلخ .[٣١]

تمت ترجمة عدد من كتبه عن التربية والطفل إلى عدد من اللغات كالعربية والعبرية والروسية والألمانية والفرنسية والإنجليزية، وجعلت اليونيسكو من السنة الدراسية ١٩٧٨ . ١٩٧٩ سنة (يانوش كورشاك)، ونظمت عام ١٩٧٨ يوما خاصا للاحتفال بالذكرى المئوية لميلاده[٣٢] ، وقد كانت نهاية "كورتشاك" مأساوية حيث سيق هو وأطفال ملجأه وموظفيه إلى إحدى معسكرات الاعتقال في (تربيلنكا)[٣٣] ليواجهون نهايتهم الأليمة في عام ١٩٤٢، وذلك بعد أن سيطر (هتلر) على مقاليد الحكم في (بولندا)، وسار على نهجه نفسه في إبادة اليهود وتصفيتهم.

لعل لسان حال القراء يتساءل متعجبا هل هذا الرجل الإنسان يهودي الأصل حقا؟ وهل أصبح اليهود بين عشية وضحاها نبلاء مضحين، ونحن نعلم تمام العلم ما يرتكبونه من جرائم ضد الإنسانية في حق الشعوب، كما نعلم من صفاتهم وسوء مواطنتهم في البلاد التي عاشوا بين ظهرانيها ما يشين، غير أني أرى أن علينا كي نكون أمناء أن ندرك أن لكل قاعدة سيئة استثناء محمود لا يمكن إغفاله، كما أن لكل قاعدة طيبة استثناء مذموم لا ينبغي تجاهله،

وأن علينا أن نتوقف إن مدحنا لنتأمل موضع الذم، وعلينا أن نتوقف إن هجونا لنتأمل موضع المدح، وقد كان (يانوش كورتشاك) هو هذا الاستثناء المحمود في أبهى صوره، وفي بقية صفحات البحث سنضع أيدينا على كيفية توظيف هذه الشخصية في أدب الطفل العبري الحديث من خلال الرواية موضوع البحث.

٣- ملخص الرواية

تدور أحداث الرواية عن الطفل (يانيك ינייך) الذي جمع في شخصه بين مأساة اليتم والفقر والمرض النفسي والجسدي، حيث ماتت أمه بعد ولادته بفترة قصيرة، وأودع والده السجن بتهمة السرقة، وربته جدته في منزل متواضع هو وأخته الكبرى (ميرا מירה)، وبعد أن ماتت الجدة سعت الأخت الكبرى التي تعتبر هي الأخرى في عداد الأطفال تحمل مسئولية أخيها لتكون له أما وأختا، فكانت تعمل على ماكينة الحياكة لتكسب قوت يومها، وتحصل على المال الذي يعينها على مواصلة الحياة هي وأخيها، كما كانت تخدم في بيت إحدى السيدات الثريات التي سرعان ما طردتها لأنها غارت على زوجها من "ميرا" الجميلة، وعندما تزوجت "ميرا" وأنجبت طفلها الأول لم يصبر زوجها على أخيها خاصة أنه قد ورث عن أبيه السرقة، فقررت "ميرا" إيداعه بإحدى دور الأيتام، وكانت هذه الدار وبالا عليه حيث تميز الطفل "يانيك" بقدرته على العدو، حتى أنه كان يحلم بدخول الأولومبياد، إلا أن قدره قد رسم له طريقا آخر، فحين قام بالسرقة في هذا الملجأ سيء الإدارة والتنظيم استطاعوا الإمساك به والتنكيل به جسديا حتى كسروا له قدمه عمدا، وكان مدير الملجأ سعيدا بهذا السلوك مدعيا أن هذه إحدى وسائل التربية لهذا اللص الصغير فهو لن يعاود السرقة ما دام لا يستطيع الهرب، غير أنه لا يدرك أو ربما لا يحس أنه هو أيضا لص إذ سرق من هذا الطفل المعدم اليتيم حلمه بأن يكون بطلا رياضيا، وقضى على الأمل الوحيد الذي كان يمثل بالنسبة له نقطة مضيئة في حياته بكل معاناتها ومشكلاتها، فينتهز "يانيك" الفرصة ويفر من الملجأ عائدا إلى دار أخته، ومنذ ذلك الحين يستقر الغضب في نفسه الصغيرة، ولا يصبح قادرا على مسامحة أخته التي يحملها جزءا من مسئولية ما حدث له، وخاصة أنها عاودت

إيداعه دار أيتام أخرى بعد فترة من الزمن، ولكن الوضع كان مختلفا هذه المرة، فدار الأيتام الجديدة هي دار أيتام (يانوش كورتشاك) التي كانت نقطة التحول الكبرى في حياة "يانيك"، إذ يجد لنفسه أبا وهو مدير الملجأ الطبيب "كورتشاك"، ويجد لنفسه أما هي السيدة "ستيفا" التي كانت تشاركه إدارة الدار، ويعثر لنفسه على أخوة أسوياء وأصدقاء مقربين هم أطفال الدار وعلى رأسهم يوسيك وهتسلم وايتشو وروزي وحنا، كما يجد لنفسه دارا هي دار الأيتام المنظمة النظيفة التي كانت له بمثابة البيت الآمن، وبالفعل يتغير سلوك "يانيك" إلى الأفضل، ويترك السرقة، ويظهر تميزه في مجال الكتابة الصحفية، ويصبح عضوا بهيئة تحرير المجلة الأسبوعية للدار، ثم تنتهي الرواية بفراره من (بولندا) إلى إسرائيل هو وأخته وزوجها وأبنائها بعد ورود أنباء بإمكانية سيطرة (هتلر) على مقاليد الأمور في (بولندا)، وتدعي الكاتبة أن "كورتشاك" أثنى على هذا القرار وشجع "يانيك" على تنفيذه، وإن كانت قد أقرت في خاتمة الرواية أن شخصية "يانيك" شخصية من وحي خيالها تماما، وترد عبر الرواية عدد من الحكايات التي يرويها الأطفال لبعضهم البعض التي تكشف عن جوانب من شخصية "كورتشاك" مدير الدار، وتورد الكاتبة عددا من الحوارات التي دارت بين "كورتشاك" ومجموعة الأطفال في الدار والتي تعبر عن نهجه التربوي في حث الأطفال على الارتقاء، ومحاولة تنمية فضولهم، والاهتمام بمواهبهم وصقلها.

المبحث الأول: رواية (אני לא נגד أنا لست لصا) دراسة في المضمون

أولا: التوجهات الإنسانية في الرواية

تتعرض الرواية لمجموعة من التوجهات الإنسانية العامة بما تحمله من قضايا متنوعة نفسية واجتماعية واقتصادية ودينية، وسيقوم البحث بتناولها تفصيلا فيما يلي:

١- المعاناة الإنسانية

ينبغي التأكيد بداية على ارتباط اليهودي بدينه وتاريخه، هذا التاريخ الذي اختلط بالدين خلطا يصعب معه فصلهما عن بعضهما البعض، فنماذج القهر الإنساني، والمعاناة النفسية، والشقاء الذي تعج به صفحات العهد القديم تعبر عن تأثير مقرائي لا يمكن غض البصر عنه

أو تجاهله، فقد أثر بشكل كبير في الأدب العبري الحديث، الذي عبر بإسهاب عن البؤس الإنساني والمعاناة الشديدة، وجعل العديد من النقاد يطلقون عليه أدب الندب والرثاء، لما به من عويل ونواح وتباكي على حال ولى، وتحسر على ما آلت إليه الأحوال، وتتجلى المعاناة الإنسانية كفكرة تضرب بجذورها في العهد القديم، وليس أدل على ذلك من سفر أيوب الذي يمثل تجسيدا لهذه الفكرة وإبرازا لعناصرها، يمتاز السفر بالتعبير عن شدة معاناة أيوب وطول مدتها وقوة الإحساس السلبي بالشقاء الإنساني، وإن كان السفر يتميز بسمات معينة تطبع تجربة الشقاء الإنساني لديه بطابع خاص ويمكن حصرها في الآتي:

١- أن معاناة أيوب فُرضت عليه ولم تكن بتدبيره أو اختياره.

٢- كانت معاناته شديدة وعلى مستويات عدة، حيث عانى مادياً بفقد ماله ومعنوياً في الشك في طاعته وإيمانه.

٣- اتسم ما يحدث له بفقدان المنطقية والعقلانية، فما يحدث له حدث بلا سبب في نظر أيوب وبلا ذنب اقترفه.

٤- أهم ما ميز تجربته أن معاناته كانت في ظل الإيمان والاقتناع بضرورة وجود عدالة إلهية، وأن ما حدث له ما هو إلا حكمة إلهية لا يدركها العقل البشري، وإن كان يعاني بشكل مؤقت.

٥- اتسمت تجربته بقيمة تعليمية وعظية، وهي قيمة الصبر في تحقيق سعادة الإنسان.[٣٤]

واتفق مع الرأي السابق القائل بتميز تجربة أيوب، فقد عبرت تجربته عن ثنائية الألم والصبر، وكذا تميزت معاناته بقوة ارتباطه بالخالق سبحانه وتعالى، فلم يتمرد عليه أو يغضب لحكمه أو يغترب عنه، ومثلت اختبارا لقوة الإيمان نجح فيه أيوب عليه السلام بجدارة واستحقاق.

مثلت فكرة المعاناة كذلك موتيفا في الأدب بشكل عام، فلا نكاد نقرأ عملا أدبيا يخلو منها، وهي تحمس النفوس للتعاطف، وتجعل القارىء يرى مأساته أو مأساة الآخرين من حوله تتحرك أمامه في حكايات معبرة، فيجد فيها متعة المتابعة والتشويق والاقتراب من الواقع بكل

ما يحمله من معاناة وألم، وتمثلت فكرة الشقاء الإنساني العتيقة في الرواية موضوع البحث في الآتي:

أ- الإحباط وضياع الأمل

تبدأ الكاتبة روايتها من خلال التعبير الصارخ عن ضياع الأمل قبل أن تعرض لنا تفاصيل هذا الأمل، فقد علم القارئ بضياعه قبل أن يتعرف عليه ويلمسه، فقد كُسرت القدم الصغيرة لهذا الطفل الذي كان يحلم بالأولمبياد في مباريات العدو، ويطمح بالمشاركة بها والذي تقول الكاتبة على لسانه:

"עד ששברו לי את הרגליים, אף אחד לא רץ כמוני. כשחלפתי ברחובות העיר בריצה אדירה אנשים נעצרו בפליאה. מה זה היה? שאלו, ווכשהבינו שאני רק ילד התמלאו תקווה שיום אחד אשתתף באולימפיאדה ואביא לכולנו נצחון וכבוד. כן בגלל זריזות הרגליים יוצאת הדופן שלי נצחתי בתחרויות, ברחתי מכנופיות, או מסתם בריונים, וגם הצלחתי לגנוב." (٣٥)

"قبل أن يكسروا قدمي لم يكن أحد يعدو سريعا مثلي، وعندما أمر بطرقات المدينة في عدوة خاطفة هائلة يصاب الناس بالذهول، ويتساءلون: ما هذا؟ وعندما يدركون أنني مجرد طفل يملأهم الأمل أنني في يوم ما سأشارك في الأولمبياد وسأحقق لنا جميعا النصر والفخار، حقا من أجل سرعة قدماي الفريدة من نوعها فزت في المنافسات وفررت من العصابات أو بالأحرى من الوحوش، وكذا وفقت في السرقة."

في الفقرة السابقة لا يخفى ما تم التعبير عنه من تعمد إيذاء هذا الطفل، فقدمه لم تكسر صدفة، ففي عبارة (يكسروا لي قدمي) دلالة واضحة على وجود فاعل مستتر عن القاريء معلوم للراوي، كما لا تخفى نبرة الحسرة على ما فات، وعدم توقع ما يمكن أن يحدث، ولكن الكاتبة أعطت بعض الأمل وسط كل هذه الظلمة الموحشة في آخر تعبير للطفل في الفقرة (وكذا وفقت في السرقة) لتمهد لكون هذا القضاء الصعب والحلم الضائع ربما كان لحكمة ما لصالح هذا الطفل.

تدعيما للفكرة السابقة، نجد تأكيدا من قبل الكاتبة على مدى رغبة الطفل في العودة إلى سابق عهده ولجوئه إلى الطبيب طالبا العلاج، وإذا به يتعرض لضياع الأمل في العلاج لصعوبة الحالة، هذا الأمل الذي يحاول الطبيب بعثه من جديد في نفس الطفل حين يسأله الطفل عن قدرتهم كأطباء على علاجه:

"אנחנו לא יודעים איך ,ענה הדוקטור , יום אחד עוד ימצאו תרופה שתדע להרוג את החיידקים, ומי שימציאו אותה יציל אנשים לא רק מכאבים נוראיים אלא גם ממוות. זה יהיה שינוי עצום לאנושות כולה ,הוא אמר בתקווה אבל אותי את זה לא עודד בכלל, כי האנטיביוטיקה עדיין לא נמצאה, אי אפשר היה להוציא את הזהום, ואני נשארתי צולע כמו שנכנסתי, אני יודע שהדוקטור הכין אותי לזה, יותר מפעם אחת, ובכל זאת התאכזבתי." (٣٦)

أجاب الطبيب: "نحن لا نعرف كيف؟ في يوم ما سوف يخترعون دواء يمكنه علاج الإصابات الميكروبية، ومن سينجز هذا الاختراع سوف ينقذ أناسا ليس فقط من الآلام المبرحة بل من الموت، وسيكون إنجازا كبيرا للبشرية كافة. قال ذلك آملا، ولكن بالنسبة لي لم يكن ذلك مشجعا أبدا، لأن المضاد الحيوي لا زال غير موجود، وليس من الممكن علاج التلوث، وأنا لا زلت كسيحا كما دخلت، أنا أعلم أن الطبيب قد أعدني لذلك، بل وأكثر من مرة، ورغم كل هذا فقد خاب أملي.

أشارت نهاية الفقرة السابقة إلى أن محاولات الطبيب لبعث الأمل في نفس الطفل البائس لم تجد نفعا، فقد ضاع حلمه وأمنيته وطموحه البعيد، وكذا خاب أمله في استعادته.

ب- التأزم النفسي وداء السرقة

يرى علماء النفس أن هناك اضطراب نفسي يدفع الشخص إلى السرقة، وهو في الغالب يسرق أشياء صغيرة ليست لها أهمية مثل: الأوراق والأقلام والألعاب ,وتحدث لدى الأطفال والمراهقين كنوع من التعويض النفسي لنقص حدث أثناء نشأته. (٣٧)

تعبر الفقرة التالية عن أزمة الطفل النفسية، فبطل الرواية الصغير رغم وجود انحراف سلوكي لديه، إلا أن له ما يبرره من ألم ويأس وإحباط، كما أنه لم يكن سعيدا في قراره العميق بأزمته تلك، ولم يكن يقوم بها راضيا أو متفاخرا:

"התגאיתי במהירות שלי, אבל לא בגניבות במיוחד שנאתי שאמרו שאני גנב בן גנב, אבל את זה היה נכון." (٣٨)

"كنت أتفاخر بسرعتي، ولكن أبدا لم أتفاخر بالسرقة وقد كرهت هؤلاء الذين يقولون إنني لص وابن لص، ولكن كان ذلك صحيحا."

كانت سرعة العدو امكانية تميز بها هذا الطفل، وربما كان استخدامه لامكانياته في العدو انتقاما من هؤلاء البشر قساة القلوب الذين لم يحاولوا توجيهه أو يشعروا بمأساته، وكان يحلو لهم السخرية منه، والتندر عليه لكونه لصا مدعمين لديه الإحساس بأن سلوكه هذا أبدا لن يُقَوَّم لأنه ميراث ورثه عن أبيه، ويقولون عنه بلا رحمة مستهزئين إنه لص وابن لص.

دعم فقر الطفل الصغير بطل الرواية إحساسه هذا بالغبن ، وعدم قدرته على اللعب كباقي الأطفال، فكان اقتنائه للألعاب يعد رفاهية لا يقدر على توفيرها لنفسه، كما لم تستطع أخته توفيرها له، وكانت سرقته هذه كما يراها حقا مكتسبا له من ألعاب الآخرين الذين لم ولن يشعروا قط بضياع بعض ألعابهم لكثرتها كما نقرأ في الفقرة التالية:

"פעם – ממש מזמן, כשהייתי קטן– לקחתי שלושה חיילי צעצוע אפורים קטנים מאיזה ילד, וזה הגניבה הראשונה שאני זוכר. אחותי מירה, שמבוגרת ממני בעשר שנים תפסה אותי משחק עם החיילים האידיוטיים האלה והכריחה אותי להחזיר אותם, הילד בכלל לא הרגיש שלקחו לו, היו לו אולי מאה כאלה." (٣٩)

"ذات مرة منذ زمن عندما كنت طفلا أخذت ثلاثة دمى لجنود رمادية صغيرة من أحد الأطفال، وكانت هذه هي السرقة الأولى التي أذكرها، وأختي "ميرا" التي تكبرني أمسكت بي

وأنا ألعب بهذه الجنود السخيفة وفرضت عليَّ أن أعيدها، لم يشعر الطفل مطلقا أنها سلبت منه، فقد كانت لديه مائة مثلها تقريبا."

الطفل في الفقرة السابقة لا يجد وجاهة في عقاب أخته له على سرقته، ويرى في سلبه لألعاب الأطفال علاج له من إحساسه القاسي بالحرمان، وهو الأمر الذي لا يؤذي أحدا من المنعمين غير العابئين.

لم يكن الطفل يحاول من خلال سرقته أن يشبع رغبته في اللهو الذي حرم منه فحسب، بل كان يحاول أن يرضي ملكته في القراءة كذلك، فهو لا يملك ثمن الكتاب ولا ثمن الجريدة، ويرى أمامه ما يدعوه للاستفزاز، فيجد من يُعرض عليهم كل هذه الملذات من الأطفال المدللين ويرفضونها بدلال وتمنع:

"הגניבה השנייה היתה של ספר. לא הודיע למה החלטתי לגנוב דווקא את הספר הזה, אולי כי היתה לו כריכה יפה, ואולי בגלל האמא שהקריאה ממנו לבן שלה, הוא לבש חליפת פסים של מלח, נראה כמו בובה בחנות, ולא הקשיב לאמא שלו, נראה לי שהספר לא עניין אותו בכלל, הם ישבו על ספסל בקצה גן ציבורי גדול, ואני רציתי סביבם איזה כשר דקות מתישהו הניחה האמא את הספר על הספסל כדי לנגב לילד צעצוע שלה את האף, ואז זינקתי לעברם, חטפתי את הספר ורצתי איתו עד הבית." (٤٠)

"أما السرقة الثانية فكانت لكتاب. وأنا لا أعرف لما قررت أن أسرق هذا الكتاب بالذات، ربما لأن غلافه كان جميلا أو ربما من أجل تلك الأم التي كانت تقرأ منه لولدها، كان يرتدي بدلة بحار مخططة، ويشبه الدمية في الدكان، لم يكن ينصت لأمه، وبدا لي أن الكتاب لا يهمه مطلقا، كانا يجلسان على مقعد بحديقة عامة كبيرة، وأنا قد طفت حولهما مدة العشر دقائق تقريبا إلى أن تركت الأم الكتاب على المقعد حتى تنظف لطفلها الدمية أنفه، ساعتها اقتربت منهما وخطفت الكتاب وعدوت به إلى البيت"

ربما كانت معاناة اليتم لديه بحرمانه من أمه وهو صغير كانت تستفز عنده الإحساس بالغيرة من هذا الطفل الذي تلاطفه أمه وتقرأ له من كتاب للحكايات، وقد كانت السرقة بالنسبة له التعويض الذي يصرفه لنفسه وبنفسه ليتصالح مع هذه الحياة، ويطفيء به نيران غيرته ومعاناته.

ما كان يزيد من معاناة الطفل النفسية أن هذا العلاج الذي ظنه يشفي نفسه من آلام معاناتها استحال إلى تأنيب للضمير زاد من تأزمه النفسي:

"לא השתמשתי במה שגנבתי נהנתי ממנו רק ברגע הראשון, אחר כך הוא נראה לי לא שווה ומיד התקלקל לי מצב הרוח, לפעמים אחרי שקראתי עיתון החזרתי אותו למוכר העיתונים –אחד מהילדים האלה שעמדו ברחוב וצעקו את הכותרות, כדי שימכור אותו שוב." [٤١]

"لم أكن استخدم ما أسرق كنت استمتع به فقط في اللحظة الأولى، بعد ذلك يبدو لي الأمر غير مستقيم، وأشعر بتأنيب الضمير، وأحيانا كنت بعد أن أقرأ جريدة أعيدها إلى بائع الجرائد _ أحد أولئك الأولاد الذين يقفون في الشارع ويزعقون بالعناوين_ حتى يبيعها مرة أخرى."

الجوع الذي مزق معدة الطفل الصغيرة كان دافعا هو الآخر للسرقة، فلم يستطع أن يتمالك نفسه أمام الطعام، ليكون الطعام هو أكثر ما سرق ليشبع معدته:

"אוכל גנבתי הכי הרבה: לחם, חמאה, גבינות, נקניקים, ממתקים, עוגות, עוגיות, בייגלה, פרות, ירקות, ואפילו דגים מהשוק או מסלים של אנשים. פעם שדדתי לביבות מצלחת במסעדה." [٤٢]

"كان الطعام أكثر ما سرقت: خبز وزبد وجبن ونقانق وحلوى وفطائر ومخبوزات وكعك وفواكه وخضروات، وحتى الأسماك من السوق أو من سلال الناس، ذات مرة سرقت شطائرا من طبق في المطعم."

كانت الحاجة هنا دافعا قويا للسرقة، فإن أكثر ما يحتاج إليه الطفل الطعام، فهو اللازم لنموه، بل ويعتبر من الحاجات الأساسية التي لا يمكن تجاهلها، ويعد الحرمان منها أحد الدوافع للعديد من الانحرافات السلوكية، ويحدد علماء النفس أسباب اللجوء للسرقة في:

١- اختيار نموذج سيء للاقتداء به من أجل تدعيم احترام الذات والاستمتاع بالاستثارة وحس المغامرة.

٢-لأنهم لا يمتلكون نقوداً لشراء ما يرغبون، كونهم من خلفية اقتصادية اجتماعية متدنية يجدون صعوبة في احترام ملكية الآخرين.

٣-طريقة في الانتقام من الأهل بشكل لاشعوري، إذ يسبب الطفل إحراجاً لهم عندما يقوم بالسرقة.

٤-وجود توتر داخلي عند الطفل مثل الغضب، الغيرة والاكتئاب الذي يتم التنفيس عنه من خلال السرقة.

٥-إصابة الطفل بالإحباط وعدم قدرته على تحمله وعدم مقاومته لإغراء السرقة. (٤٣)

أرى أن أغلب العوامل السابقة قد تجسدت في شخصية الطفل بطل الرواية، ولكن الفقر والعوز كانا السببين الرئيسين لاتجاهه إلى السرقة، فالحاجة والرغبة في إشباعها كانت محددا لما كان يقوم بسرقته.

جـ - مأساة العرج

يخبرنا علماء النفس أن الطفل المعاق يجب مراعاة نفسيته، والتفاعل معه، والاقتراب منه دون معايرته، أو تذكيره بنقصه، ومحاولة تحفيزه على السلوك الإيجابي، بل ومحاولة جعله يتوافق مع عاهته ويتقبلها ويتعايش معها، وإلا كانت دافعا لعدد من اضطرابات السلوك. (٤٤)

التعامل في الأدب مع الطفل ذي الإعاقة غالبا ما يعبر عنه كضحية المجتمع الأناني، أو المجتمع اللامبالي، ونادرا ما يتم التعبير عن تقبل المجتمع أو احتوائه لهذه النماذج. (٤٥)

إذا كان العرج الذي أصيبت به قدم "يانيك" السبب الرئيس في ضياع حلمه بالعدو في الأوليمبياد، فكان الألم النفسي الأكبر هو معايرة الأطفال في الحي له بهذا النقص الذي لا يستطيع أن يتقبله، ويألم لمجرد ذكره:

"**השמועה התפשטה. מדי פעם עבר מישהו בחצר וצעק: "יאנק הגנב הצולע! או "נראה אותך מנצח אותי בריצה עכשיו, גנב צולע.**" (٤٦)

"انتشر الخبر، وكثيرا ما يمر شخص ما في الفناء ويصيح: "يانيك أيها اللص الأعرج" أو "سنرى إذا كنت ستفوز علي في العدو الآن أيها اللص الأعرج"

نلحظ أن التفاعل السلبي من المجتمع مع الطفل المعاق يزيد من معاناته ورغبته في الانعزال، وهذا ما عبرت عنه الأديبة حين أوردت هذا النموذج للطفل الذي يعير "يانيك" بإعاقته، ثم أوردت الإشارة إلى ما حل بنفسية "يانيك" في فقرات لاحقة، فإن "أدب الأطفال، كما الأدب عمومًا، يعبِّر عن طبيعة الحياة في المجتمع والقيم التي تحكم العلاقات بين أبنائه، وبالتالي يتغير مع تغير المجتمع بوسائله ومفاهيمه." (٤٧) ، فطالما كان هذا هو رد فعل المجتمع فسوف تستمر المعاناة.

تعرض الفقرة التالية لإشارة واضحة من الكاتبة على لسان "يانيك" لكون الألم النفسي الذي يصيبه لا يقتصر فقط على مجرد معايرته والإساءة إليه بالقول، بل إن إحساسه المتأزم قد وصل إلى درجة أنه يألم لمجرد رؤية الناس لقدمه الكسيحة سواء عنده إن أشفقوا أو شمتوا:

"**במשך כמה חודשים שכבתי שם על מזרן ולא יצאתי מהבית. לא רציתי שיראו שנשארתי צולע.**" (٤٨)

"ورقدت على الفراش طيلة شهور، ولم أفارق البيت، لم أشأ أن يروني وقد بت أعرجا."

بدا لنا الاستسلام الذي أصاب "يانيك" في الفقرة السابقة معبرا بقوة عن حالة اليأس التي أصابته، وعبر الرقاد الطويل في الفراش عن حالتي الاستسلام واليأس، وقد اختلط هذا الشعور بالكآبة والحسرة، وعدم الرغبة في أن يرى أحدا أو يراه أحد.

تمثل العزلة والرغبة في اعتزال البشر عوارضا للإعاقة البدنية، وكثيرا ما نادى علماء النفس بضرورة دمج المعاق في المجتمع، ويؤكدون على أن نظرات الشفقة تؤلم المعاق، وكذا الابتعاد عنه والنفور منه [٤٩]، فما بالنا بنظرات الشماتة التي يلقاها "يانيك" في عيون بعض الغيورين.

تبدو حالة الطفل "يانيك" الصعبة غير الراضية عن تدابير القدر في حسرته وأسفه، وإحساسه بخيبة الأمل، واستشعاره لعدم القدرة على تغيير هذا المصير، وعدم استطاعته للعدو ثانية، هذه الرغبة الوحيدة التي كان يمتلك أدواتها، ولم تعد هي الأخرى في يده ليبتلى بالحرمان منها، وتضاف إلى قائمة الحرمان الطويلة التي تتزايد مع الأيام:

"**הלוואי, הלוואי שיכולתי לתקן את מה שעשיתי, או לפחות לרוץ.**"[٥٠]

"هيهات هيهات أن استطيع أن أعالج ما فعلت، أو حتى أن أجري. "

تجسدت في هذه العبارة البسيطة منتهى الحسرة والشعور بالحرمان والخزلان.

د - مأساة اليتم

إن أصعب ما يميز حالة البطل هو فقدانه لأمه بعد ولادته، ودون أن يدرك ملامحها، هذا الأمر الذي يولد حرمانا يؤدي للكثير من الاضرابات النفسية، لفقدان الحب والمساندة العاطفية[٥١] ، فحين تكون الفقيدة هي الأم يزيد الألم وتتضاعف المعاناة، وتجسد لنا الفقرة التالية حالة اليتم التي يحياها "يانيك":

" **פעם אהבתי את מירה הכי הרבה שרק אפשר, ולא חשבתי עליה אף מחשבה רעה. גרנו יחד גם שנינו מאז שהייתי קטן. אמא שלנו מתה קצת אחרי שנולדתי, ואותה אני לא זוכר בכלל. את אבא שלנו פגשתי פעמיים, כשיצא לחופשה מהכלא, לפני שסיפרו לנו שמת שם.**" [٥٢]

"كنت من قبل أحب "ميرا" حبا جما إلى أقصى درجة، ولم أفكر فيها تفكيرا سيئا ولو لمرة ، عشنا سويا منذ كنا صغارا، ماتت أمي بعد ميلادي بفترة قصيرة، وأنا لا أتذكرها مطلقا،

قابلت والدنا مرتين، حين كان يخرج بتصريح من السجن، قبل أن يبلغونا أنه توفي هناك، سكنا في البداية مع جدتي في شقة صغيرة بمنطقة فقيرة من مدينة وارسو، ولكن حين أصبحت في سن السادسة تقريبا ماتت هي الأخرى."

يتضح مما سبق أن هذا الطفل البائس فقد أمه وجدته تباعا، ولم يجد أمامه سوى أخته الكبرى التي تجسدت فيها صورة الأم، ولذا نجده يصف حبه لها بمبالغة شديدة فهو حب جم يصل إلى أقصى الدرجات، فقد كانت له بديل طبيعي لأمه ومعادل موضوعي لحالته النفسية، فكلاهما يعيش المعاناة ذاتها.

يجسد هذا الحوار الذي دار بين "يانيك" وأخته "ميرا" على مائدة الطعام في ملجأ "كورتشاك" عند رؤيتهم للسيدة "ستيفا" مدى اشتياق "يانيك" لمعرفة شكل أمه المتوفاة التي لم يدرك حتى ملامحها:

"**ופתאום, כשמבטה נעוץ בגברת סטפה שישבה בשולחן מולנו, לחשה לי, (היא מזכירה לי את אמא.)**

(מה?) שאלתי המום, (גברת סטפה דומה לאמא?) לא היה לנו תצלום של האמא שלנו, ולמרות שמירה תיארה לי אותה לפחות מליון פעם, לא הצלחתי לדמיין את את הפנים שלה.

(לא) ענתה מירה (אמא היתה יפה)

(היא היתה גדולה כמוה?)

(לא)

(אז במה היא מזכירה אותה?)

(לא יודעת.)

(אז בשביל מה אמרת את זה בכלל?) כעסתי"[٥٣]

"وفجأة عندما علقت نظرها بالسيدة "ستيفا" التي جلست على طاولة أمامنا همست لي: "إنها تذكرني بأمي."

سألت بشغف: "ماذا؟ هل السيدة "ستيفا" تشبه أمي؟" لم يكن لدينا صورة لأمنا وعلى الرغم من أن "ميرا" وصفتها لي قرابة المليون مرة لم أنجح في تخيل وجهها.

أجابت "ميرا": "لا أمي كانت جميلة"

"هل كانت ضخمة مثلها؟"

"كلا"

"إذن كيف تذكرك بها؟"

"لا أعرف"

غضبت: "لماذا إذن قلت ذلك أصلا"

يحمل غضب "يانيك" من أخته "ميرا" إشارة قوية ورمزا معبرا عن رغبته الشديدة في استنباط هذه المعلومة الجديرة بالمعرفة، وخيبة أمله الشديدة إلى حد مهاجمة أخته وإحراجها عندما لم توصل له الفكرة، ولم تقرب له الشبه الذي يربط السيدة "ستيفا" بأمه.

وتبدو لنا مأساة اليتم كذلك في صورة الطفل "ناتان" زميل "يانيك" في دار أيتام "كورتشاك"، والذي يصغره في السن، ويشتاق لأمه إلى حد البكاء:

"**העיניים שלו התמלאו דמעות והאף שלו נזל.** (**זה מהחום**) **ניסיתי לנחם אותו כמו שהדוקטור נחם אותי כשהתביישתי בבכי שלי.** (**או מהאדים של המרק החם.**) **הוסיפה חנה.**

(**לא**) **נתן ניגב בשרוול את האף והעיניים,** (**אני מתגעגע לאמא.**)" [٥٤]

"امتلأت عيناه بالدموع وسال أنفه.

"هذا بسبب الحرارة" حاولت أن أواسيه كما واساني الطبيب عندما خجلت من بكائي، وأضافت "حنا": "أو من أبخرة الحساء الساخن"

جفف "ناتان" بكمه الأنف والعينين: "كلا، أنا مشتاق لأمي"

هـ - مأساة الفقر

يعد الفقر إحدى الضغوط النفسية التي تجعل الإنسان يلجأ إلى التعويض أو التبرير لبعض السلوكيات المضطربة في شخصه، والطفل من أكثر من يتأثر بالفقر، لحاجته المستمرة

للاستمتاع، وقد رأى بعض من علماء النفس أن الفقر هو المسئول الأول عن الأمراض النفسية والعقلية[٥٥] ، فيصور لنا "يانيك" حالته المعيشية هو وأخته في وجود جدته وبعد وفاتها، وهي حالة تفح منها رائحة الفقر والعدم، فيقول:

"אחרי שסבתא מתה נשארנו לגור בדירה שלה. היא היתה קטנטונת וחשוכה. הקורות היו טחובים וכשירד גשם נאלצנו לשים על הרצפה גיגיות וסירים, אחרת היו לנו שלוליות, ברור שלו היה לנו חשמל ולא היה מים זורמים." [٥٦]

"بعد أن ماتت جدتي ظللنا نسكن في شقتها، لقد كانت شقة صغيرة ومظلمة، كانت الجدران متهالكة، وكنا نضطر حين ينهمر المطر أن نضع على الأرضية دلاءً وقدورا، كان لدينا برك كذلك، ومن الواضح أننا لم يكن لدينا كهرباء أو مياه جارية."

أضيفت مأساة الفقر لتلحق بغيرها من مآسي واجهت "يانيك" في حياته، وأجبرت أخته "ميرا" _التي تعد هي الأخرى صغيرة_ على العمل كحائكة في الحي الذي يعيشون فيه، بل والتردد على إحدى السيدات الثريات لتبيع لها ما تحيك:

"כמו אמא וסבתא שלנו, גם מירה היתה תופרת, לפני שסבתה מתה היא עבדה בבית, תקנה בגדים ווילונות, אחרי כן היא עברה לעבוד במקום סבתא אצל גברת נחמדה ועשירה." [٥٧]

"وكانت "ميرا" تخيط كذلك مثل أمي وجدتي، عملت في البيت بعد أن ماتت جدتي، كانت تحيك ثيابا وستائرا، وبعد ذلك بدأت تعمل بدلا من جدتي عند سيدة طيبة وثرية."

رغم أن "ميرا" كانت تحاسب أخيها دائما على السرقة وكثيرا ما كانت ترد ما سرق، إلا أنها لم تعد تحاسبه على سرقته للطعام حين فصلتها السيدة الثرية التي تعمل لديها ، لقد كانوا تحت خط الفقر فضغط الفقر على هدوء حالها، ولم تتمكن من أن تجلب لنفسها أو لأخيها ما يشبع جوعهم، وهو ما يعد أبسط متطلبات الحياة، وقاعدة مثلث الاحتياجات التي لا

يستطيع الإنسان العيش بدونها، فتجاوزت وتجاوزت، إلى أن برقت فكرة الزواج بعينها كمحاولة للهروب من الفقر والعوز:

"למירה כבר לא היה כסף לשלם לי עבור בית- הספר, הפסקתי ללכת לשם, ואחותי אפילו לא שאלה איך אני משיג תפוחים ותפוחי אדמה, סלק, כרוב או גבינה. ואז, כשכמעט נואשה כי לא הצליחה למצוא עבודה, עשתה מה שהחחמוצה המליצה לה לעשות – מצאה לעצמה בעל." [٥٨]

"لم يكن مع "ميرا" نقود لتدفع للمدرسة، فتوقفت عن الذهاب إلى هناك، وأختي حتى لم تسأل كيف أجلب التفاح والبطاطس والبنجر والكرنب والجبن، وتقريبا بعد أن يأست من أن تنجح في العثور على عمل، فعلت ما أشارت به ذات الوجه العابس وعثرت لنفسها على زوج."

كان الفقر سببا كذلك في حرمان البطل الطفل من المدرسة، فالفقر لا يحرم الطفل فقط من فرص للاستمتاع ، بل يحرمه كذلك من فرص للتعليم، والعيش الكريم، فيصبح بالنسبة للطفل أصل لكل الشرور، وتتأتى محاولة مواجهته بمحاولة الهروب منه قدر الإمكان بالطرق المشروعة أو غير المشروعة[٥٩] ، إذ يكون دافعا للسرقة كما ذكرنا آنفا.

و- الاغتراب

وينبغي الإشارة إلى أن الاغتراب كمعنى ومصطلح لا يقتصر على مظهر واحد، من الإحساس بعدم الانتماء للمكان كما اصطلح البعض على ربطه بمفهوم الغربة، وإنما يمتد الاغتراب ليشمل مظاهر عدة منها الاغتراب عن الذات حين يعاني الإنسان من ضغوط نفسية تفقده توازنه وتشعره بعدم قدرته على التصالح مع نفسه، بالإضافة للاغتراب عن الإله الذي يتمثل في شعور الإنسان القاتل بتخلي الله عنه ويكون رد فعله تجاه هذا التخلي هو الانزواء بعيداً عن الله أو لومه سبحانه وتعالي في لحظات اليأس التي يمر بها الإنسان المغترب عن الله، كما نجد اغتراباً آخر عن الناس يبدو في انفصال الإنسان عن البشر وابتعاده عنهم من

خلال إحساس دائم بأنهم مصدر إزعاج له إما بتدخلهم في حياته أو بتسببهم في العديد من المشكلات التي تضر به، ويبدو في الرواية عدد من مظاهر الاغتراب التي طوقت نفس البطل "يانيك":

١- الاغتراب عن البشر

يتجلى الاغتراب عن البشر في أوضح معانيه في تكتل عدد من الكبار والصغار على طفل صغير، واجتماعهم على ضربه وإيذائه البدني، وإصابته بعاهة مستديمة في قدمه دون أن يرأف بحاله أحد، وذلك في أحد دور الرعاية سيئة الإدارة والتنظيم التي أودع بها "يانيك":

" כמה ילדים גדולים ומדריכים טמנו לי מלכודת ותפסו אותי גונב. הם הצמידו אותי לרצפה ובעטו בי אבל רק ברגליים. המנהל עמד בצד וראה הכל. מתישהו אמר להם להפסיק. לפני שאבדתי את ההכרה שמעתי אותו אומר: (נראה איך הוא ירוץ עכשיו.) עבר לא מעט זמן עד שהצלחתי להתחזק מספיק בשביל לברוח מבית המחסה ולגרור את עצמי בשלג כל הדרך לבית של אחותי." (٦٠)

"عدد من الأولاد الكبار والمشرفين الذين نصبوا لي فخا وأطلقوا علي لصا فقد ثبتوني على الأرض وسحقوني وركزوا فقط على قدمي، وكان المدير يقف موقف المتفرج ويشاهد كل شيء عندما قال لهم توقفوا، وقبل أن أفقد الوعي سمعته يقول "سنرى كيف سيعدو بعد الآن" ، ومر زمن ليس بالقليل حتى نجحت أن اتماسك بشكل كاف حتى أفر من دار الرعاية وأن أسحب نفسي على الجليد طوال الطريق إلى بيت أختي."

كان فرار "يانيك" إلى بيت أخته هو التعبير الواضح عن غربته عن المكان واغترابه عن البشر الذين يسكنونه، ولكنه لم يكن فرارا من مشاعر الاغتراب ذاتها التي ملأت نفسه حتى ناحية أخته التي كان يتصورها أمه ذات يوم، فهي من أودعته الملجأ وهي التي تصر على إيداعه ملجأ جديد تصفه بالرائع:

"לא האמנתי כשיום אחד – בזמן שקירצפה חיתולים רטובים על קרש הכביסה – היא אמרה: (יאניק, שמעתי על בית יתומים נהדר.) סובבתי אליה את הגב וחייכתי במרירות בגלל הצירוף הבלתי אפשרי של המלים (בית יתומים) ו(נהדר). אני אולי גנב צולע, חשבתי, אבל היא שקרנית ובוגדת." [٦١]

"لم أصدق ذات يوم عندما قالت _وهي تنظف القطط المبللة في وعاء الغسيل_ "يانيك سمعت عن دار أيتام رائع" أدرت لها ظهري وتبسمت بمرارة بسبب هذه الصياغة المستحيلة التي تجمع بين كلمتي "دار أيتام" و"رائع"، فكرت أني ربما أكون حقا لصا أعرج، ولكنها هي كاذبة وخائنة."

انتاب "يانيك" إحساس بالاغتراب عن أخته "ميرا" التي وصفها بالكاذبة الخائنة لعهده بمجرد تفكيرها في الاستغناء عنه للمرة الثانية وتعريضه لمصير جديد يتصوره لا يختلف عن سابقه، فلا يمكن أن يُطلق على دار أيتام أبدا كلمة رائع في عرف "يانيك" خاصة بعد تجربته المريرة.

دعمت الكاتبة الفكرة ذاتها بإطلاق العنان لبطلها "يانيك" ليعبر عما تفيض به نفسه من إحساس بالقهر والخيانة، وهو الأمر الذي ولد مشاعره الاغترابية الموجهة نحو أخته، والتي حسمت داخل نفسه قرارا بعقابها على فعلتها، وتجمع الفقرة التالية بين الإشارة إلى غضبه من أخته واغترابه عنها وعن زوجها "ستاشيك"، وولدها الصغير الرضيع، بما يشوب ذلك من إحساس بالغيرة من هذا الطفل التي لا تستطيع "ميرا" الاستغناء عنه، بينما تستطيع الزج بأخيها إلى مصيره المجهول:

"חשבתי לעצמי שאני לא רוצה לראות אותה יותר. לא אותה, לא את סטאשיק שקילקל לנו הכל, ולא את התינוק הבכיין שלהם. החלטתי שעוד היום – ולא משנה אם אשאר בבית היתומים (הנהדר) שלה או אם אברח ממנו – אגיד למירה שלום אחרון. שלום ולא להתראות. אמרתי

לעצמי שעדיף לי לגור ואפילו למות ברחוב. ושזה יהיה העונש שלה."[٦٢]

"فكرت بيني وبين نفسي إني لا أريد أن أراها ثانية، لا هي ولا "ستاشك"الذي لعننا جميعا، وكذا رضيعهما كثير البكاء، قررت إنه منذ اليوم _ سواء بقيت في دار الأيتام الرائع خاصتها أو فررت منه _ أن أقول لـ "ميرا" وداعا، وداعا لا إلى اللقاء، قلت لنفسي إنه أكرم لي أن أعيش بل حتى أن أموت في الشارع، وسوف يكون هذا عقابها."

يمتد اغتراب "يانيك" عن البشر ليشمل جميع الكبار، الذين رأى فيهم صورة المتعجرف الذي ينزعج من قذارة الأطفال وضوضائهم:

"לא צפיתי ממבוגרים שיהיו נחמדים לילדים. עשינו להם רעש ולכלוך, איכזבנו אותם... הבנתי שאנחנו רק מפריעים להם בחיים." [٦٣]

"لم أكن أتوقع من الكبار أن يكونوا ظرفاء مع الصغار، فقد كنا نتسبب لهم في ضوضاء ووسخ، نحن نحبطهم... أدركت أننا نزعجهم في هذه الحياة "

ووصل حد الاغتراب عن البشر من الكبار هو فلسفة "يانيك" الغريبة لفكرة إنجاب الأطفال، فهو يرى أن على الموثر فقط أن ينجب حتى يستطيع الإنفاق على أبنائه، كما يرى أن دافع إنجابه للأطفال يقتصر على اللعب بهم وكأنهم الدمى، فهم مصدر تسلية وقت الفراغ، فيقول:

"לפעמים תהיתי בשביל מה אנשים מולידים ילדים, אלא אם הם עשירים ורוצים ילדי-צעצוע _ ילדים בשביל הבידור." [٦٤]

"أحيانا أتساءل لماذا ينجب الناس أطفالا إلا إذا كانوا أثرياء ويرغبون في أطفال كالدمى، أطفال من أجل التسلية."

إنه لا يجد حكمة في الإنجاب، ولا وجاهة في رغبة الكبار في تربية الأطفال، فيرى الكبير والصغير طرفي نقيض، لا يتقابلان ولا يتقاطعان، وهنا تكمن مشاعره الاغترابية بإحساسه أنه لا قيمة له في حياة الآخرين.

وقد أشار أحد نقاد أدب الطفل العبري الحديث أن علماء النفس والاجتماع والأدباء المهتمين بمجال التربية والوعظ قد ساهموا مساهمة فعالة في تطوير أسلوب التعامل مع الطفل كإنسان يحتاج إلى التعليم والتأهيل، وإتاحة الفرصة له للإبداع والابتكار، ونبذوا تماما أسلوب التعامل مع الطفل على أنه دمية تحتاج إلى التدليل. [٦٥] ، ولعل أكثر ما يدعو للتأمل هو بداية توجيه عقلية الطفل اليهودي وتحويله من دمية للتسلية إلى دمية للتسيير والتوجيه للإيمان ببعض المبادئ والأفكار وغرسها فيه، فقد قامت إحدى المعنيات بأمر الطفل بإعداد موسوعة للطفل تضم موضوعات عدة تهمه في مجالات المعرفة والفكر جمعت في ثمانية عشر مجلد[٦٦] ، فقد زاد الاهتمام بالطفل وصياغة فكره ووجدانه، ولم يخف على معدة الموسوعة تخصيص المجلد التاسع بالكامل للحديث عن إسرائيل للفت انتباه الطفل اليهودي إليها وتوجيهه إلى الارتباط بها والانتماء إليها قلبا وقالبا .

تسوق الكاتبة المبررات لكراهية البشر لدى "يانيك" وأخته "ميرا"، إذ تجعل منهم قساة غير منصفين، فحين أعجب زوج السيدة الثرية بـ "ميرا" فصلتها عن العمل، بما في ذلك من تعبير عن منتهى الإجحاف ومعاقبة البريء ومسامحة المذنب، فنجد "ميرا" تعبر عن ذلك الشعور الاغترابي بقولها:

"היא היתה צריכה לפטר אותו, לא אותי ... אבל זה לא הולך ככה. יותר נוח לה לחשוב שאני אשמה."[٦٧]

"كان عليها أن تقيله هو وليس أنا، ولكن الأمر لا يستقيم هكذا، فالأكثر راحة لها هو أن تظنني آثمة." إنها أنانية البشر، فهي لم تفصلها لأنها آثمة، بل لتريح نفسها بإلقاء التهمة عليها، واعتبارها هي المذنبة، ليظل في نظرها الزوج المخلص، ولتظل هي الزوجة المحبوبة، ولا مانع من ظلم الآخرين وتجريمهم.

دعم الشعور الاغترابي عن البشر عند "يانيك" علاقته السيئة بزوج أخته، فبدلا من أن يكون له أبا وسندا ومعاونا على التغلب على مآسي الحياة، إذا به ينهال عليه موبخا بأقذع

الألفاظ، ويتهمه دون محاولة أمينة لإصلاحه أو تقويمه أو الشفقة على حاله، فيقول عنه "يانيك":

"העיר לי כל הזמן, רב איתי, האשים אותי. הוא טען שאני פוגע במשפחה, ומוציא לה שם רע ... גם הוא אמר שאני בטלן. טפיל. מפונק. אפס. זבל. גנב. פושע. שמעתי אותו אומר לאחותי שאני דפוק לגמרי, מקולקל כמו שעון שכבר אי אפשר לתקן." (٦٨)

"راقبني طوال الوقت وتشاجر معي واتهمني، وأدعى أني عار على الأسرة حيث أضر بسمعتها، ... كذلك قال عني عاطلا وفضوليا ومدللا ولا قيمة لي وحثالة ولصا ومجرما، وسمعته يقول لأختي إني مختل تماما وإني معيب كالساعة التي استحال إصلاحها."

ومن أعجب ما بدا من شعور اغترابي تملك الطفل "يانيك" هو استمرار هذا الشعور معه حتى حين انضم لدار أيتام "كورتشاك"، ولكن مشاعره الاغترابية قد سارت في اتجاه آخر، حيث كان يحس أنه لا ينتمي للمكان ولا يتشابه مع أهل المكان، فهو منحرف السلوك، اللص، ابن الشارع كما كان الجميع ينهال عليه بالتقريز في الخارج ، بينما يحيا وسط أطفال تميزوا بصفات البراعة والعفة والطهارة والأدب، فكان شعوره الاغترابي ناحيتهم يشوبه بعض الغيرة وعدم الارتياح، فلم يكن الاغتراب عن الناس هنا نابعا من خطأ فيهم قدر ما نبع من تدني في صفات البطل أمام تميز يراه بهم، فلا يستطيع التآلف معهم أو التأقلم مع كونه الأقل قيمة، فهو اغتراب عن الناس يشوبه اغتراب عن الذات، وتوضح الفقرة التالية هذا المعنى، فإذا بـ "يانيك" يصف نفسه قائلا:

"בן אחד ער בין חמישים בנים ישנים, הרגשתי זר ושונה מהם, אמנם היה לי את יוסק, אבל הוא גרם לי להיות עצבני, נראה לי שהוא מנופף כל הזמן במצוינות שלו. לא עבר יום וכבר ידעתי שהוא במועצה העליונה של התלמידים, זאת שקובעת את כל הדברים החשובים, וגם בוועדה למשחקים מועילים, שממציאה תחרויות ומשחקים, ובעוד כמה

וועדות שכולן טובות ומבוקשות ומועילות, הוא גם משחק כדורעף וחניך בתנועת הנוער הציונית (השומר הצעיר), ויודע קצת עברית. כן, וגבוה ורחב כתפיים ונחשב יפה, ויש לו חברה, איך אפשר לא להיות עצבני ליד אחד כזה?" (٦٩)

"كنت طفلا واحدا متيقظا وسط خمسين طفلا نائما، أحسست أني غريب ومختلف عنهم. حقا كان لدي "يوسيك"، ولكنه يستفزني، يبدو لي وكأنه يلوح دائما بتميزه، فلم يمر يوم واحد حتى عرفت إنه في المجلس الأعلى للطلاب، ذلك الذي يحدد الأمور المهمة، وكذا عضوا في لجنة اللاعبين المتميزين التي تنظم المنافسات والمباريات، وفي عدد من اللجان التي تمتاز كلها بأنها جيدة ومطلوبة وذات جدوى، وهو أيضا لاعب كرة طائرة، وعضو في حركة الشباب الصهيوني (هشومير هتساعير)، كما يعرف القليل من العبرية، أجل، كان طويلا وعريض المنكبين، ويبدو وسيما، وله صديقة، فكيف لا أكون مستفزا أمام شخص كهذا؟ "

٢- الاغتراب عن المكان

يبدو من الفقرة التالية مدى الإحساس القاسي بالاغتراب عن المكان الذي كان الطفل "يانيك" يستشعره داخل أحد دور الأيتام، فقد كان يحس أنه سجين لا يتلقى أية رعاية :

"הם שלחו אותי לבית מחסה ליתומים, שקוראים לו גם (מקלט) אבל השם לא מתאים לא בכלל. כשהייתי שם הבנתי שהמקום הוא פשוט סוג של בית סוהר, אמנם ליילדים, אבל בית סוהר." (٧٠)

"أرسلاني لدار رعاية الأيتام، الذي يطلقون عليه أيضا (ملجأ)، لكن هذا الاسم لا يتلاءم معه تماما، عندما أقمت هناك أدركت أن المكان ببساطة هو شكل من أشكال السجون، حقا إنه للأطفال، ولكنه سجن." يقارن لنا "يانيك" بين دار أيتام "كورتشاك" الذي كانت تحوي خزانات شخصية لأبناء الدار، وبين دار الأيتام فائقة الإهمال التي أودع فيها من قبل لفترة من الزمن فيقول:

"אם היו מגירות פרטיות כאלה במקלט, חשבתי, הם היו המקום המושלם לאולרים ולסכינים. אלה היו המוצרים הכי מבוקשים שם. כולם נסו למצוא, להשיג, לגנוב, למכור ולהחביא אותם." (٧١)

"تأملت إذا ما كان هناك خزانات شخصية كهذه في الملجأ، كان هذا المكان مكانا مثاليا للمطاوي والسكاكين، تلك هي البضاعة المطلوبة هناك، يحاول الجميع التفتيش والإنجاز والسرقة، وبيع الأشياء أو تخبئتها." إن التعامل مع البشر كبشر لهم زاوية خاصة بهم، ولهم كذلك حق في الاستقلال والخصوصية، يخلق منهم أشخاصا محلا للثقة، وأهلا للأخلاق الحميدة والسلوك القويم، والعكس صحيح فإن دار الأيتام السابقة التي أودع فيها "يانيك" قد غرست في أبنائها الشعور بالدونية، والميول الإجرامية، وهذا يؤكد أن اغتراب "يانيك" عن المكان هنا يقترن بما لاقاه فيه من عنت وسوء معاملة، وتؤكد الفقرة التالية على ما عايشه بطل الرواية وخبره في هذه الدار اللعينة:

"במקלט למדתי שאוכל- בעיקר לחם או פרי- ולפעמים סבון, שמיכה, מעיל או סיגריות, יכולים להחליף כסף כשצריך לשלם (דמי חסות) לבריונים. ילדים חדשים במקלט תמיד נדרשו לשלם (דמי חסות), כדי שיוכלו להיות בטוחים ממכות ומגנבות, וכדי שיוכלו לאכול ולהשתמש במקלחות. כשהייתי במקלט היה מגודל אחד, בן חמש-עשרה, שדרש מאיזה ילד קטן ללטף לו את הראש כל לילה עד שיצליח להירדם. הייתי בטוח שלילה אחד, אחרי שהמגודל יירדם, הילד יעשה לו משהו איום, אבל עד שעזבתי כלום לא קרה. הילד הקטן עשה מה שדרשו ממנו. הוא היה צריך לשרוד שם וזהו." (٧٢)

" تعلمت في الملجأ أن الطعام _خاصة الخبز والفاكهة وأحيانا الصابون والغطاء والمعطف أو السجائر_ يمكن أن تحل محل المال وقت الحاجة، وذلك للدفع لقاء الحماية من المشاغبين، دائما ما يحتاج الأولاد الجدد في الملجأ للدفع لقاء الحماية، ليكونوا آمنين

من الضربات والسرقات، وكي يستطيعون الأكل والاستجمام أثناء استعمال الدش، عندما كنت في الملجأ كان هناك أحد الصبية البالغ من العمر ١٥ عاما، كان يطالب أي طفل بأن يداعب رأسه كل ليلة حتى يتمكن من النوم، وكنت واثقا إنه ذات ليلة عندما يخلد الصبي إلى النوم سوف يسلك الطفل نحوه سلوكا عنيفا، ولكن حتى تركت الملجأ لم يحدث ذلك مطلقا، كان الطفل الصغير يفعل ما يؤمر به إذ كان ينبغي عليه أن ينجو هناك، هذا هو كل شيء."

٣- الاغتراب عن الذات

يرى بعض الباحثين أن الاغتراب عن الذات هو أشد أنواع الاغتراب على الإطلاق، لأن تكيف الإنسان مع ما يمر به من مشكلات وعقبات يرجع أساساً إلى وعيه بذاته، فإذا فقد المقدرة على فهم ذاته ومعرفة قيمتها، فإنه يواجه أصعب مشكلة قد تستعصي على الحل.(٧٣) ، فالأصل اللاتيني للكلمة يربط الاغتراب بعدم التصالح مع الذات(٧٤).

ينبع كل شعور اغترابي لدى "يانيك" من اغترابه الأصيل عن ذاته التي يراها ليست ذات قيمة، ومن العبث تصور أنها سوف تنصلح وتختلف وتتميز، فهو يحادث نفسه وقت تواجده في دار أيتام "كورتشاك" قائلا:

"**תוך כמה ימים מקסימום כמה שבועות, אתרגל, ואז אהיה כמו כולם.**

זה לא נכון, התווכח איתי קול רע בתוכי: אף פעם לא תהיה אחד מהם. ראית אותם, הם כמו משפחה. אתה זאב בודד. אתה לא מתאים למשפחה הזאת." (٧٥)

"سوف اتكيف خلال أيام، أو بحد أقصى عدة أسابيع، وحينها سأكون مثلهم جميعا.

تصارع معي صوت الشر بداخلي: "هذا ليس صحيحا، لن تكون يوما ما واحدا منهم، ألم ترهم، إنهم كما الأسرة، وأنت ذئب ضال لا تناسب هذه الأسرة."

يبدو كذلك أن ما استقر في نفس البطل الصغير من أفكار تملكته وسيطرت على عقله من كون الرذيلة ميراثا لا فكاك منه، وجينا أصيلا لا يمكن تغييره أو تبديله قد رسخ لديه مشاعره الاغترابية عن ذاته التي لا يجد في صلاحها أملا يرجى، فهو يقول:

"**בסופו של דבר זה מה שאתה: גנב, גנב בן גנב.**" (٧٦)

"وفي نهاية المطاف هذا أنت، لص، وابن لص."

من خلال العرض السابق لمظاهر الاغتراب في الرواية يمكننا إجمال الأسباب التي أدت إليه في الآتي:

١- سلوك البشر غير الواعي تجاه الأطفال، فقد أساء مدير دار الأيتام الأول الذي أودع به "يانيك" لهذا الطفل، واتبع معه أسلوب قاسي للعقاب البدني.

٢- إصرار أخت البطل "يانيك" على إيداعه في دار أيتام بعيد عنها.

٣- سلوك الكبار بوجه عام في تعاملهم مع الطفل، إذ يتعاملون معه دائما باعتباره مصدرا للإزعاج.

٤- المراقبة المستمرة للطفل، وإحساسه الدائم بعدم الثقة فيه وفي أفعاله.

٥- الظلم الذي تعرضت له "ميرا" حين فصلتها صاحبة العمل دون ذنب اقترفته.

٦- إحساس الطفل بضآلته وعدم تميزه.

٧- غيرة الطفل من بعض المحيطين به.

٨- شعور الطفل "يانيك" بأنه سارق، مع إحساسه بأن ذلك ميراث من والده ليس قابلا للتبديل أو التحويل، زاد قناعته بتدنيه واغترابه عن ذاته.

كما ترتب على إحساس البطل بالاغتراب في الرواية عدد من النتائج يمكن إجمالها في الآتي:

١- كراهية البشر والنظر إليهم كأعداء ينبغي محاربتهم.

٢- جعل الطفل يكفر بقيمة الإنجاب وضرورته، فإن لم يكن الكبار يهتمون لأمر الطفل ويعتبرونه أصلا للإزعاج، فلما ينجبونه في الأساس.

٣- تولد المعاناة والألم النفسي الذي يلحق بالطفل لشعوره بالتدني.

٤- خلق حاجز من الريبة والشك بين الطفل وغيره من البشر الذين ينبغي عليه معاملتهم بحذر.

٥- القضاء على قيمة الانتماء للمكان أو الوفاء للبشر.

٦- كفر الطفل بذاته وبقدرتها على الإبداع والتميز.

٧- تنامي شعور الطفل بعدم الارتباط بالبشر أو الوطن أو الأرض.

٨- الشعور بالإحباط لافتقاد المقومات النفسية الدافعة للأمام، بالإضافة إلى وجود المعوقات في الطريق.

٩- عدم احترام النظام والقانون وعدم الإيمان بجدوى كل منهما.

١٠- عدوانية الطفل وعنفه كوسيلتان للدفاع عن النفس لافتقاده لوسائل الحماية الأخرى.

١١- الانحرافات السلوكية كالسرقة وغيرها كوسيلة لمعاقبة المجتمع، وانتزاع الحق قهرا.

٢- بروز القيم والسلوكيات المحمودة

أبرزت الكاتبة من خلال روايتها عددا من القيم التي ربما أحبت غرسها في وجدان الطفل اليهودي، فعرضتها بصورها المؤثرة في النفس، والمعبرة عن القيمة الإنسانية الراقية التي تتجلى في هذه السلوكيات وتلك التصرفات، وهي بذلك تشير بالبنان ناحية القدوة والنبراس الذي تمثل هذه القيم:

أ- قيمة الإيثار

تبدو قيمة الايثار وتتجلى بوضوح في سلوك "ميرا" التي آثرت مصلحة أخيها على مصلحتها الشخصية، واختارت له طريق العلم رغم ضيق ذات اليد، ورغم أنها كانت تدرس هي الأخرى، إلا أنها تركت المدرسة في الصف الثاني لتستطيع الإنفاق على أخيها مفضلة مصلحته على مصلحتها، بل ومشجعة له بعباراتها حتى لا يحس أنه حرمها شيئا تحب، وها هو بطل الرواية يصف لنا قائلا:

"בבית הכנו שיעורים, מירה אמרה שבזכות שיעורי הבית שלי גם היא לומדת, וזה טוב, כי היא עזבה את בית הספר בכיתה ב', וככה היא משלימה את הלימודים שלה." (٧٧)

"وفي البيت كنا نعد الواجب المنزلي، كانت "ميرا" تقول إنه بسبب واجباتي المنزلية تدرس هي الأخرى، وهذا شيء جيد لأنها تركت المدرسة من الصف الثاني، وهي هكذا تستكمل تعليمها."

قيمة التفاني والإخلاص في العمل

برزت صفة التفاني والإخلاص في العمل في سلوك الطبيب "كورتشاك" مالك دار الأيتام ومديره، الذي ضرب مثلا في تحمل المسئولية، وعدم التواني والعمل الدؤوب، بل والإحسان للأطفال نفسيا وجسديا، فهو يمر على الأسرة في الليل ليَطمئن ويُطمئن، لم يترك طفلا واحدا في عمل يتميز بقمة الإتقان:

"הוא הלך לקצה האולם ועבר מיטה מיטה, רכן אל הראשים, פה ושם סדר שמיכה, לפעמים התעכב עוד רגע או שניים, לפעמים חלף במהירות, עד שהגיע אלי." (٧٨)

"اتجه إلى أقصى القاعة ومر على فراش تلو آخر، يربت على الرؤوس، وكان يعدل الغطاء هنا وهناك، كما كان يتوقف أحيانا لثانية أو ثانيتين، وأحيانا أخرى كان يمر مر الكرام حتى وصل إليَّ."

لم يكن إتقان الطبيب للعمل قاصرا على ما يبديه للأطفال من ود ورعاية داخل ملجأه، بل مثل هذا سلوكه العام في كل موقع يحل به، فقد كان كذلك في المشفى الذي عمل به منذ سنين، وإذا بـ "يوسيك" أحد أبناء دار الأيتام يروي ما لاقاه عمه حين كان صغيرا من عناية على يد الطبيب "كورتشاك" واسمه الحقيقي (جولدشميت):

"יוסק סיפר שהדוד שלו זכר את היום שהדוקטור שלנו הגיע לבית החולים, כי מאותו יום הכל משתנה, לטובה, קודם כל בניגוד לרופאים

אחרים, כשדוקטור (גולדשמיט) בדק, הוא לא הכאיב, הוא לא השתמש בכוח, הוא נזהר עם הזריקות, והיתה לו סבלנות. הילדים אהבו אותו כי הוא סיפר בדיחות וסיפורים." (٧٩)

"روى "يوسيك" إن عمه يتذكر اليوم الذي أتى فيه طبيبنا إلى المشفى، فمنذ ذلك الحين اختلف كل شيء إلى الأفضل، بداية وخلافا لبقية الأطباء، ف (د/ جولدشميت) عندما يفحصه لا يؤلمه، ولا يستخدم القوة، وكان حذرا عند إعطاء الحقن، وكان لديه صبر، وكان الأطفال يحبونه لأنه يروي نكتا وقصصا."

أرى أن الفقرات السابقة من الرواية قد أوضحت أن قيمة التفاني في العمل لا تكتمل أركانها، إلا إذا اجتمعت في الإنسان المهارة والطهارة في آن واحد، فالإنسانية والطهر هما المحددان الرئيسان لأي سلوك ذي قيمة، والتميز والمهارة هما المؤكدان على دقة العمل وتميزه بلا خطأ أو عيب أو خلل، ولعل من أبرع الفقرات التي أكدت على إنسانية "كورتشاك" وتفانيه وإخلاصه في الرواية هي الفقرة التي حكى فيها "يانيك" عن بقاء الطبيب إلى جواره ساعة ارتفاع حرارته وإصابته الشديدة بالحمى:

"**התיישבתי בקושי במיטה ואז הוא הסתובב אלי, הדוקטור. הייתי בחדר שלו, בעליית הגג, הוא התקרב, הניח יד יבשה וחמה על המצח שלי ואמר, (סוף- סוף ירד קצת החום).**" (٨٠)

"جلست بصعوبة في السرير، واستدار نحوي حينها، كان الطبيب، لقد كنت في حجرته في السطح، اقترب مني، ووضع يده الصلبة الدافئة على جبيني، أخيرا انخفضت الحرارة قليلا."

وتتابعا للفكرة ذاتها من الحديث عن القيم نجد تعبيرا جديدا عن قيمة الصدق، التي تمثل إحدى القيم المعبر عنها في الرواية.

ب- قيمة الصدق

إن أهم ما يميز الصادق هو صدقه مع نفسه قبل صدقه مع الآخرين، فإذا به يواجه هذه النفس دائما بفضائلها ورذائلها، كما يستشعر حب الغير له من عدمه، ورضاه عنه من حنقه،

فيصدق نفسه القول أولا، ثم يصدق الآخرين القول والفعل، فها هي "ميرا" أخت البطل "يانيك" وقد أدركت بصدق حدسها أن أخيها حانق عليها، فلم تحاول إرضاءه كذبا وتضليلا كما أوضحت الرواية، بل عبرت له عن حقيقة فعلها، ليدرك مع الأيام صدق حديثها رغم تشككه فيه بدافع من الغضب في البداية، فتصف له دار أيتام "كورتشاك" قائلة:

"אני יודעת שאת כועסת עלי, יאניק – מירה אמרה– אבל הפעם יהיה לך טוב. כולם רוצים ללכת למוסד הזה אפילו לא יתומים... בכלל לא היה פשוט להכניס אותך לשם, שתדע לך." (٨١)

"قالت "ميرا": " أنا أعرف أنك حانق عليَّ، ولكن هذه المرة سيكون الأمر جيدا لك، كلهم يريدون الالتحاق بهذه المؤسسة حتى وإن لم يكونوا أيتاما، ولكن أعلم أنه لم يكن سهلا أن أضعك هناك."

أنهت الأخت حديثها بالتأكيد على صدق مشاعرها نحوه، تلك المشاعر التي استشعرت أنها لم تصله، وأدركت عدم رضاه وسخطه، فأكدت لأخيها أنه لم يكن بالسهولة بمكان أن تودعه الملجأ، ولكنها ترى صالحه في ذلك، فقد أبرزت هذه الفقرة وأوجزت التعبير عن صدق "ميرا" مع نفسها ومع أخيها معبرة عن وجود هذه الصفة في شخصها.

برزت كذلك قيمة الصدق في شخص الطبيب "كورتشاك" من خلال هذه المشاعر الصادقة التي جمعته بمرضاه، فهو حين يسألهم عن سلامتهم لا يجامل، بل بالفعل يريد أن يعرف، وربما كما يقال فإن الصدق يجد له غالبا مردودا صادقا، فإذا صدقت المشاعر صدقت ردة فعل الأشخاص تجاهها، لذا فقد صدق المرضى طبيبهم القول، مثلما صدقهم هو الشعور، وقد أوجزت الكاتبة التعبير عن هذا المعنى في العبارات التالية:

"הוא שאל אותם מה שלומם, ובאמת רצה לדעת, והם ענו תשובות אמיתיות." (٨٢)

"كان يسألهم عن حالتهم، وكان حقا يريد أن يعرف، وكانوا هم يجيبون إجابات صادقة."

بعد الإيجاز الذي ميز العبارات السابقة، تخرج علينا الكاتبة موضحة مفسرة للعلاقة التي جمعت المرضى بطبيبهم، والتي كانت شرارتها الصدق، هذا الصدق الذي قاد إلى البوح، ثم إلى التفاهم، وأخيرا إلى التوافق والاتفاق، فنجد هذه الحكاية التي تروى عن الطبيب "كورتشاك" في إحدى فقرات الرواية:

"הם לא רק דיברו איתו על כאבים ומחלות, אלא גם על כמה שהם מתגעגעים למשפחות שלהם וכועסים שלא מרשים להם לקבל מבקרים, כאילו שהם פושעים מסוכנים בבית סוהר ולא חולים מסכנים בבית חולים, הדוקטור הצדיק את הילדים, ואפילו עשה איתם הסכם, אם הם ייקחו את התרופות, אבל כמו שצריך, בלי לרמות – למשל בלי לשפוך חלק על הרצפה, או להחביא מתחת ללשון, ואחר כך לירוק – הוא יכניס את כל המבקרים שמחכים ליד השער, שני הצדדים עמדו בהסכם, ובמשך כמה שבועות ימי הביקורים בבית החולים נראה כמו מסיבה אחת גדולה." (٨٣)

"إنهم لم يتحدثوا معه عن الآلام والأمراض فحسب، بل عن اشتياقهم لأسرهم، وكانوا يتزمرون لأنهم لا يسمحون لهم باستقبال زوار، وكأنهم مجرمين خطرين في سجن، وليسوا مرضى مساكين في مشفى، صدق الطبيب الأطفال، وعقد معهم اتفاقا إن أخذوا الأدوية، ولكن كما يجب، وبدون خداع، كأن يسكبوا جزءا منها على الأرض، أو يخبئوها تحت الألسنة ثم يلقون بها بعد ذلك، فإنه سوف يسمح بدخول جميع الزوار الذين ينتظرون خلف البوابة، وقّع كل من الطرفين الاتفاق، وطوال أسابيع كانت تبدو أيام الزيارات في المشفى كما المؤتمر الكبير."

أرى أن الفقرة السابقة قد أكدت على أن الصدق لا يحتاج إلى معلم، بل يحتاج فقط إلى قدوة، وهو ليس سلوكا للكبار فقط، بل يمكن كذلك أن يكون سلوكا للصغار إذا وجدوه مجسدا أمامهم فعلا وقولا.

جـ - الرحمة

تجدر الإشارة إلى أن كل ما سلف من حديث عن القيم لا يخلو من مودة ورحمة، فما الإيثار إلا رحمة بمن نؤثره، ومودة صادقة، وما الصدق إلا نبذ للخداع والزيف بما يحمله من رحمة بالآخر، وشفقة عليه، ومودة نبديها نحوه، فالمؤثر والصادق كلاهما رحيم، ولذا أكدت الكاتبة في فقرات روايتها على ثبوت صفة الرحمة في نفس إحدى شخصياتها الرئيسية، وهي شخصية الطبيب "كورتشاك"، فتجعل "ميرا" تصفه مؤكدة على لطفه ولينه ورحمته:

"איש כזה נחמד בחיים היא לא פגשה, לפגישה עם קורצ'אק וגברת סטפה מירה הלכה עם התינוק. שמואליק בכה כל הזמן, ומירה פחדה שהם יתרגזו ויסלקו אותה משם, אבל זה לא מה שקרה. הדוקטור ביקש ממנה רשות לבדוק את שמואליק. היית מאמין לדבר כזה? שאלה." (٨٤)

"قالت إنها لم تقابل في الحياة رجلا لطيفا مثله، وعند الذهاب لمقابلة "كورتشاك" والسيدة "ستيفا" ذهبت بالطفل الرضيع، وكان "شموئيلك" يبكي طوال الوقت، فخافت ان يغضبوا وأن يطردوها من هناك، ولكن ليس هذا ما حدث، حيث طلب منها الطبيب أن تأذن له بفحص "شموئيلك"، وسألت: "هل تصدق أمرا كهذا؟"

أوضحت العبارة الأخيرة من الفقرة والتي تحمل سؤالا تعجبيا أبدته "ميرا" قمة الرحمة التي لاقتها في سلوك الطبيب "كورتشاك" والسيدة "ستيفا".

ربما لقلة الرحماء في دنيانا، يقابل سلوك القادر الرحيم بالدهشة والعجب، فنجد الطفل "يانيك" بطل الرواية يقف مشدوها أمام رحمة "كورتشاك" ولطفه مع بعض الأطفال من ملجأه، ويستثني سلوكه هذا من قاعدة من القسوة والغلظة يبديها الكبار ناحية الأطفال

الفقراء خاصة، ويشبهها بسلوك رجال الشرطة مع المجرمين والمشاغبين، فيصف لنا مشهد خروجه مصاحبا لـ "كورتشاك" إلى الردهة في دار الأيتام بقوله:

"יצאנו למסדרון. כמה מהילדים שנהרו לשולחנות רצו אל הדוקטור. ילד קטן נצמד לו לרגליים וילדה קטנה הגישה לו כף יד לנשיקה, כמו מלכה. הוא חייך, ליטף ראש, נישק מצח ודיבר קצת עם כמה ילדים במקביל, לא ידעתי מה לחשוב. מבוגרים לא התנהגו ככה עם ילדים לא – שלהם, ובטח ובטח שלא עם ילדים עניים.הם התנהגו איתנו יותר כמו שוטרים שעומדים מול מפגינים פרועים או מול אסירים שעוד רגע מתמרדים." (٨٥)

"خرجنا إلى الممر، عدد من الأطفال الذين تدفقوا نحو الطاولات جروا نحو الطبيب، وطفل صغير التصق بساقيه، وطفلة صغيرة مدت له يدها كي يقبلها كالملكة، كان يبتسم ويداعب الرأس، ويقبل الجبهة، وفي المقابل يتحدث قليلا مع بعض الأطفال، لم أعرف فيما أفكر، إن الكبار لا يتعاملون هكذا مع الصغار، خصوصا إن لم يكونوا أطفالهم، وبالتأكيد ليس مع الأطفال الفقراء، إنهم يتصرفون معنا كرجال الشرطة الذين يواجهون متظاهرين مشاغبين أو يواجهون سجناء أثناء تمردهم."

تصل رحمة "كورتشاك" إلى حد الإسراع ناحية الطفل الباكي ليُهدئ من روعه ويطمئنه، ويطمئن إلى عودته للنوم مرتاحا قرير العين، وهذا بعد أن يعطيه ما فقده وحُرم منه فتذكره باكيا، إنه الحنان المغلف بالرحمة الذي وجده في عناق "كورتشاك" الدافيء، فإذا بـ "يانيك" يصف لنا هذا المشهد من غرفة نوم الأولاد في الملجأ بقوله :

"הדוקטור נכנס לאולם השינה. בצעדים שקטים הוא ריחף במהירות לעבר הקול הבוכה, התהפכתי על הצד לכיוון הבכי ... וראיתי את הדוקטור מתכופף אל הבוכה ולוחש לא משהו. הילד כרך זרועות סביב

צווארו של הדוקטור, והוא חיבק אותו בחזרה, הם נשארו ככה כמה רגעים עד שהילד נרגע וחזר לשכב." (٨٦)

"دخل الطبيب إلى قاعة النوم، وسار بخطى سريعة وواثقة نحو الصوت الباكي، تقلبت على الناحية التي تقع في مواجهة البكاء، ووجدت الطبيب ينحني نحو الباكي ويهمس له بشيء ما، فطوق الطفل رقبة الطبيب بذراعيه، وبادله هو العناق، وظلا هكذا بضع لحظات حتى هدأ الطفل وعاد للنوم."

عبرت الفقرات السابقة عن ثبوت صفة الرحمة في مديري الدار، سواء في سلوكهم ناحية الغير، وفي مواساتهم له، وفي إبداء الاهتمام والعناية ناحيته، أو في شعورهم بالشفقة والتعاطف بداية ناحية الأطفال.

د - قيمة الصداقة

تمثل الصداقة خاصة لدى الأيتام في دور الأيتام قيمة جديرة بالاحترام والتقدير، ففيها التعويض النفسي، والمعادل الموضوعي للحالة النفسية السيئة التي يقاسون مرارتها، فيجدون المشاركة والأمان، ويتقبلون الآخر ويتقبلهم، ويجدون جوانبا مشتركة تجمعهم وتساعدهم على المواصلة.

تم التعبير عن قيمة الصداقة في الرواية من خلال عرض نموذج للصداقة التي جمعت بين بطل الرواية "يانيك"، وبين "ايتشو" زميل الملجأ والدراسة، وقد كانت هذه الصداقة قوية وراسخة، وتبلورت ملامحها من خلال حفظ "يانيك" لأسرار صديقه "ايتشو"، وهو الأمر الذي بالغ "يانيك" في التعبير عنه إلى درجة إدعائه أن هذه الأسرار لن يخرجونها من فمه حتى بالتعذيب، كما نقرأ في الفقرة التالية:

"הוא רצה להשאיר את הפרח על מיטתה של איזו ילדה– הוא לא אמר לי מי– והתבייש שתידע שהפרח ממנו, אני לא ברמה שלה? קבע בעצב ואחר כך שאל, אתה יודע לשמור סוד, נכון? אם ישאלו אותך אם

אתה יודע מי עשה את הפרח הזה, לא תגיד (איצ'ו), נכון? לא תסגיר אותי?

עניתי: אל תדאג לא יוציאו ממני את הסוד שלך, אפילו לא בעינויים." (٨٧)

"إنه كان يريد أن يترك الوردة على فراش إحدى الفتيات _إنه لم يقل لي مَنْ_ وكان خجلا أن تدرك أن هذه الوردة منه، قال بحزن: أنا لست في مستواها، ثم سأل بعد ذلك: "انت تحفظ السر أليس كذلك؟ إذا سألوك هل تعرف من صنع هذه الوردة لا تقل "ايتشو" لن تسلمني أليس كذلك؟

اجبتك: لاتقلق، لن يخرجوا مني سرك حتى بالتعذيب."

اختار "ايتشو" صديقه "يانيك" ليكون بئر أسراره، إذ يشاركه سره العميق، ويعبر له عن حبه الشديد لإحدى فتيات الدار دون ذكر اسمها، وإذا به يطالبه بأن يحفظ سره كما في الفقرة السابقة، وهذه الفقرة تعبر بجلاء عن إحدى حقوق المتمثلة في حقه في احترام أسراره، فالطفل كذلك يشعر كالكبير أن له الحق في زاوية خاصة به، يشارك فيها من يرغب في مشاركته وينحي عنها من يريد.

تكشف لنا الكاتبة عن قدرة الصداقة على إذابة جليد الألم والمعاناة، وحواجز الضيق التي تطوق الإنسان وتحبس أنفاسه، فوسط يوم شديد الصعوبة على نفس "يانيك" بعد قراءته لدفتر مدربه "يوسيك"، وعلمه برأيه فيه ورواياته عنه استطاع أن يضحك فقط على يد صديقه "ايتشو":

"לא יכולתי להפסיק לצחוק. דמעות גדולות נזלו לי מהעיניים. סוף– סוף ירדה ממני המועקה שהקפיאה אותי מאז שקראתי בפנקס של יוסק. הייתי כמו קרח שהפשיר על מדרכה, שלולית." (٨٨)

"لم استطع التوقف عن الضحك، وانهمرت الدموع من عيني، وأخيرا تلاشى عني الحاجز الذي طوقني منذ قرأت في دفتر "يوسيك"، كنت كالجليد الذي ذاب على الرصيف كما البركة."

كانت العلاقة في غاية السوء بين "يانيك" ومدربه "يوسيك" الذي كان يكبره ببضع سنوات ، ولم تتحسن علاقتهما إلا بامتداد أواصر الصداقة فيما بينهما من خلال مساعدات "يوسيك" الدائمة له، وحرصه الشديد على صالحه، وضمانه له أنه سيقف إلى جانبه ليثبت للجميع أنه نادم على السرقة ولن يعود إليها في محكمة الأطفال التي كانت له جلسة فيها، فنجد "يانيك" يصفه ممتنا في هذه الفقرة:

"כבר לא פחדתי שבית – המשפט יעיף אותי, יוסק הרגיע אותי בעניין הזה. הוא אמר שגם אם יפסקו לי סעיף 1000, הוא יערער. אם הערעור לא יתקבל, הוא ייקח על עצמו אחריות על מה שעשיתי וידרוש שייתנו לי עוד הזדמנות. מוזר, שבועיים קודם, ביום של הגנבה, הצטערתי שדווקא אותו קיבלתי כחונך, עכשיו חשבתי שהוא המזל שלי." [٨٩]

"لم أعد أخشى أن تفصلني المحكمة، لقد طمأنني "يوسيك" بشأن هذا الموضوع، قال لي إنهم حتى لو حاكموني وفق البند ١٠٠٠ سوف يستأنف، وإن لم يقبل الاستئناف سوف يتحمل مسئولية ما فعلت، ويطالب بأن يعطونني فرصة أخرى، غريب، قبل أسبوعين، بل قبل يوم واحد من السرقة كنت نادما أنني حصلت عليه كمدرب، والآن اعتقد أن هذا من حظي."

وبالإضافة لعلاقة الصداقة التي أوضحت الفقرة السابقة أنها قد جمعت بين "يانيك" و"يوسيك" بعد فترة من الجمود، تعود الكاتبة للحديث مجددا عن طبيعة علاقة الصداقة التي جمعت بين "يانيك" و"ايتشو" كما سيتضح في الفقرة اللاحقة، وأثبتت فقرات الرواية أن تلك الصداقة ليست مجرد مشاعر متبادلة فقط، بل هي كذلك سلوك متبادل من المساعدة

والمساندة والدعم، فإن كان "ايتشو" يؤثر إيجابيا على سلوك "يانيك" ومشاعره، فالعكس صحيح، فإن "يانيك" قد سعد لأن بإمكانه حل مشكله "ايتشو" والإنصات إليه، إذ نقرأ:

"שמחתי – לא שיש לו בעיה, ברור שלא. שמחתי שהוא רוצה לדבר איתי על הבעיה שלו. אני מקשיב– אני אמרתי." (٩٠)

"سعدت ليس لأن لديه مشكلة، بالطبع لا، ولكن لأنه أراد أن يتحدث معي عن مشكلته، فقلت: "أنا أنصت"

بعد أن حُلت المشكلة، وانقشع ضباب الأزمة أكد "يانيك" أن سعادته لا تكمن في حله للمشكلة، ولكنها تكمن في أنه قام بحلها بدافع من نداء الصداقة، فنجده يقول بعد نجاح المسرحية التي يمثلها "ايتشو"، والتي قام هو بإعدادها بطريقة حلت مشكلة كبيرة لـ "ايتشو"، بل ولرفاقه في المسرحية وعلى رأسهم "حنا":

"הייתי מרוצה מעצמי. לא רק בגלל שהרעיון הצליח מבחינה אמנותית, אלא גם בגלל שהוא בא מתוך חברות. הוא עשה טוב גם לחנה, אבל – ומבחינתי זה היה הכי חשוב – הוא פתר לאיצ'ו את הבעיה."(٩١)

"كنت راضيا عن نفسي ليس فقط لأن الفكرة نجحت من الناحية الفنية، ولكن لأنها جاءت بدافع من الصداقة، فقد جاءت لصالح "حنا"، ولكن _وهذا بالنسبة لي الأكثر أهمية_ أنها حلت لـ "ايتشو" المشكلة."

إن "يانيك" لم يسعد بنجاح فكرته قدر سعادته براحة "ايتشو" ورضاه، بما يؤكد على ما تحمله مشاعر الصداقة الحقة من إيثار وبُعد عن الأنانية وحب الذات، ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي حل فيها "يانيك" مشكلة لصديقه "ايتشو"، بل إنه حل له كذلك مشكلة عقاب المدرسة له بكتابة الدرس عدة مرات، هذا العقاب الذي حصل عليه لدفاعه عن صديقه "يانيك" في الفصل، ويتجلى الحل في الفقرة التالية:

"הצלם פרש על השולחן את שני הדפים הלבנים כדי שאיצ'ו יראה מה עושה נייר הקופי. איצ'ו קלט מיד איך הצלתי אותו, הוא הסתכל עלי ואז על חבילת דפי הקופי. יש פה שלושים כאלה – אמרתי, והוא עשה את החשבון מהר. זה ייתן לו שישים דפים, וכבר היו לו עשרים וחמישה דפים מועתקים, הוא התחיל לצחוק מהשמחה." (٩٢)

"بسط "هتسلم" الصفحتين البيضاوتين على المنضدة حتى يرى "ايتشو" ماذا يفعل ورق الكربون، وأدرك "ايتشو" على الفور كيف أنقذته؟ فنظر إليَّ وإلى رزمة ورق الكربون، فقلت: " يوجد هنا ثلاثون مثل هذه." وقام بالحساب سريعا، فإن هذا سوف يعطيه ستون صفحة، وهو لديه خمس وعشرون ورقة منقولة، بدأ يضحك من فرط السعادة"

لقد حلت رزمة ورق الكربون التي أحضرها "يانيك" لصديقه "ايتشو" مشكلة العقاب القاسي للمدرسة، ليسعد "يانيك" بحله لمشكلة "ايتشو"، ويسعد "ايتشو" بدفاعه عن صديقه "يانيك" في الفصل، ويسعد كلاهما برابطة الصداقة القوية التي جمعت بينهما، وذللت لهما الكثير من الصعاب بالود والمشاركة.

د- النظام

عرضت الرواية لمفهوم النظام في دار أيتام "كورتشاك"، وكيف يسير هذا النظام كالساعة، وكيف يتولى القائم على أحد الأمور بتذليل الصعاب وشرح الأمور وتوضيحها بالكامل بلا تعب أوملل، فنجد السيدة "ستيفا" تشرح لـ "يانيك" أين سينام، وأين معجونه وأدواته، ونظام الدار، ولم تتوقف للحظة واحدة عن الشرح والتوضيح، كما عبرت الكاتبة على لسان بطل روايتها:

"אבל לרגע אחד לא הפסיקה להסביר לי דברים. המספר שלך הוא 33. את המגבת תתלה על מתלה מספר 33. גם את הנרתיק עם מברשת השיניים והמשחה. כשהמשחה תיגמר נחליף לך אותה. בפינה הזאת מצחצחים נעליים. דברים כאלה." (٩٣)

"ولكنها لم تكف للحظة عن شرح الأمور لي، رقمك هو ٣٣، ستعلق المنشفة على الشماعة رقم ٣٣، وكذا رف فرشاة الأسنان والمعجون، وعندما ينفذ المعجون سوف نبدله لك، وفي هذا الركن ملمعي الأحذية، وأمور كهذه."

أما عن "يوسيك" فهو يقوم بدور المدرب لـ "يانيك" في شهوره الأولى في الدار ليضع قدميه على بداية الطريق ويعلمه كل شيء عن نظام المكان وقواعده، وهو يجيب عن أسئلة "يانيك" ويوضح له دون كلل أو ملل، ويتضح ذلك في الفقرة التالية:

"אם אני למשל תורן מטבח – המשיך– אתה מצטרף אלי ולומד ממני מה עושים במטבח, אם אני תורן ניקיון, אתה לומד איך לנקות. אם אני בישיבה של וועדה או נבחר לשפוט בבית המשפט, אתה יושב לידי ומקשיב, ככה אתה לומד את סדר היום. את החוקים ואת הכללים של המקום הזה. אחרי שלושה חודשים של ליווי צמוד, אני כמעט בטוח שתוכל להמשיך בלי העזרה שלי, הבנת?" (٩٤)

"واصل حديثه قائلا: "إذا جاء دوري في المطبخ على سبيل المثال ستصاحبني، وتتعلم مني ماذا يفعلون في المطبخ، وإذا جاء دوري في النظافة سوف تتعلم كيف ننظف، وإذا كنت في اجتماع اللجنة أو منتخب للقضاء في المحكمة ستجلس إلى جواري وتنصت، هكذا سوف تتعلم جدول أعمال اليوم، وكذا قوانين وقواعد هذا المكان، وبعد ثلاثة أشهر من الرفقة اللصيقة سأكون واثقا إلى حد كبير إنك تستطيع المواصلة بدون مساعدتي، هل فهمت؟"

إن خبرة "يانيك" من خلال معايشته لدور رعاية في غاية الإهمال كانت تجعل فكره قاصرا على الاعتقاد أن أية رعاية يتلقاها من أحد يجب أن يأخذ الآخر ثمنها، إلى أن أدرك بفضل كلام "يوسيك" أن العطاء يقابله عطاء، ولكن ليس بهذه الصورة المادية التي حفرت في ذهنه من خبراته السيئة، فيقول موجها حديثه إلى "يانيك":

"החוק הוא כזה: אם אתה עושה משהו אסור– למשל מרביץ, מלכלך או גונב– זה על אחריותי... תראה,מצד אחד, אתה צריך אותי כדי שאעזור לך. מצד שני, אני צריך שתתנהג כמו בנאדם כדי שארצה לעזור לך. אני לא חייב להיות החונך שלך אם אני לא רוצה, או אם לא מגיע לך, או אם אני סובל מזה. מבין?

רק בשלב הזה התחלתי להבין את הסידור." [٩٥]

" ينص القانون إنك إن فعلت شيئا غير قانوني مثلا: ضربت، أو لوثت، أو سرقت، فإن هذا سيكون على مسئوليتي ... انظر، من ناحية أنت تحتاجني كي أساعدك، ومن ناحية أخرى عليك أن تتصرف بإنسانية حتى أرغب في مساعدتك، أنا لست مضطرا أن أصبح معلمك إن لم أكن راضيا، أو إن لم تكن تستحق، أو إن كنت أعاني من ذلك، هل فهمت؟

في هذه المرحلة فقط بدأت أفهم النظام."

أعلن "يانيك" في نهاية الفقرة السابقة إدراكه لهذا النظام الإنساني الجديد الذي يُعنى بالقويم من السلوك والذي يجب أن يتبعه ويتحلى به كلا الطرفين، فالمدرب لا يحتاج من المتدرب سوى أن يكون إنسانا سويا مستحقا للمساعدة وبذل الجهد، والمتدرب لن يأخذ من مدربه إلا هذا الأمان الذي يجعله يسكن ويستريح من عناء المسئولية الكبيرة الملقاة على عاتق مدربه، والتي يؤديها المدرب راغبا مختارا.

بدأ اليوم الثاني لـ "يانيك" في دار الأيتام بإتباع نظام صارم فيما يخص نظام الاستيقاظ، والاغتسال والنظافة، والترتيب تبرزها لنا الفقرة التالية:

"יוסק העיר אותי בשש וחצי בבוקר. בלי להתעורר ממש, יצאתי מהמיטה ועשיתי מה שכולם עשו– שטפתי פנים, צחצחתי שיניים, החזרתי את המשחה והמברשת לנרתיק ותליתי אותו על מתלה מספר 33. סידרתי את המיטה, קפלתי את השמיכה. החלפתי בגדים." [٩٦]

"أيقظني "يوسيك" في السادسة والنصف صباحا، وقمت من الفراش دون أن أكون قد استيقظت تماما، ثم فعلت ما فعلوه جميعا، غسلت وجهي، وفرشت أسناني، وأعدت الفرشاة والمعجون إلى الصندوق ووضعته على الرف رقم ٣٣، ثم أعدت ترتيب الفراش، وطويت الغطاء، وبدلت ملابسي."

جمعت الفقرات السابقة جميعا بين النظام اليومي الروتيني للدار، ولكن الكاتبة قد أوجزت دستور الدار ونظامه العام في تلك العبارة التي قالها "كورتشاك" لـ "يانيك"، موضحا له القانون العام المعمول به من جانبه الإنساني البحت:

"**החוקה שלנו מבוססת על העיקרון שהכי טוב לסלוח**." (٩٧)

"دستورنا قائم على مبدأ أن الأفضل أن تعفو"

أرى أن الجملة السابقة قد أوجزت ميثاق الأخلاقيات الذي يحكم الدار الذي يقوم على العفو كأساس.

٣- الفضول الطفولي وأثره الإيجابي

إن الفضول عند الأطفال يعد إحدى محددات الذكاء والتميز، ويدعونا علماء النفس إلى تنمية هذا الفضول إن وجد، ومحاولة استثارته لصالح الطفل ونموه المعرفي(٩٨) ، وقد عبرت الفقرة التالية عن الأثر الإيجابي للفضول الطفولي، فإن جهل الطفل بالكثير من الأمور يثير لديه رغبة جامحة في معرفة كنه الأشياء، والتوصل إلى حقيقتها:

"**את הפתק שקורצ'ק כתב לי על הבדיקה שמתי במגירה הפרטית הריקה שלי – אבל עד שעשיתי את זה כולם כבר קראו וכולם ידעו שאני עומד לנסוע לבית החולים. כשיום הבדיקה התקרב התחילו עוד ועוד ילדים לשאול אותי מה זה רנטגן, מה קורא בבדיקה הזאת, כמה זמן היא נמשכת ואם היא כואבת. עניתי מה שידעתי, לא הרבה, רק מה שהדוקטור סיפר לי היו כמה ילדים, לא רק מהקטנים, שביקשו**

כשאחזור אספר להם בדיוק מה קרה שם. בעיקר הם התעניינו בקרניים של המצלמה – איך הן מצליחות לחדור עד לעצם בלי להכאיב?" (٩٩)

"إن البطاقة التي كتبها لي "كورتشاك" عن الفحص وضعتها في خزانتي الشخصية الفارغة، ولكن إلى أن فعلت ذلك كان الجميع قد قرأوا أنني سأغادر إلى المشفى، وأن يوم الفحص قد اقترب، بدأ الكثير من الأولاد يسألونني ما معنى (أشعة)، وماذا سيحدث في هذا الفحص، وما الوقت الذي تستغرقه؟ وهل هي مؤلمة، أجبت بما أعرف ولم أقل الكثير، فقط ما قاله لي الطبيب، كان هناك عدد من الأطفال _ ليس الصغار منهم فقط_ طلبوا مني حين أعود أن أقص عليهم بالضبط ما حدث هناك، كانوا شغوفين أساسا بأشعة التصوير، وكيف تنجح في التسلل نحو العظم دون أن تؤلم؟"

إن كثرة الأسئلة الطفولية مستحبة كما تحاول الكاتبة الإشارة والتوضيح، فمن خلال هذا الشغف بالمعرفة تكتمل المعرفة، وتتحقق الفائدة.

٤- الالتزام بميثاق حقوق الطفل(١٠٠)

ويتجلى ذلك من خلال عدد من المحاور:

المحور الأول: **تشجيع المواهب**

عرضت الرواية لتشجيع دار الأيتام لكل موهبة تبرز وتبزغ، فتوضح الفقرة التالية على سبيل المثال شخصية "هتسلم" المغرم بآلات التصوير، والذي يحلم باقتناء إحداها، هذا الذي طلب مصاحبة "يانيك" إلى فحصه بالمشفى وإجراء الأشعة له ليرى كيف يصورون له عظامه، وقد استأذن للخروج معه لأن هذه الرحلة لابد أن يرافق "يانيك" فيها مدربه "يوسيك"، ولم يبد الجميع أي اعتراض على استبدال "يوسيك" بـ "هتسلم" لتشجيع موهبته، وإشباع نهمه للمعرفة ، وتظهر في الفقرة مدى اهتمام "هتسلم" بمتابعة الفحص:

"הצלם, שליווה אותי במקום יוסק, היה עסוק בצילום. הוא התרגש. הפנים שלו היו רציניות, והוא כל הזמן ניגב את היידיים בצדי המכנסיים." (١٠١)

""هتسلم" الذي رافقني بدلا من "يوسيك" مشغولا بأمر التصوير، وكان شغوفا، كان وجهه جديا، وطوال الوقت كان يمسح بيديه على جانبي البنطال."

وبرزت من خلال دار الأيتام عدد من المواهب الفنية في مجال المسرح، ونجح الجميع في إعداد عرض مسرحي متكامل الأركان ومميز، تم عرضه في عيد الحانوكا:

"כמה אנשים היו אחראים להצלחה הגדולה של ההצגה. קודם כל הדוקטור שכתב את המחזה, ואז איצ'ו ששיחק מצוין... הקרדיט השלישי הגיע לחנה, לקול העמוק שלה ולאופן שהקריאה... קרדיט של ההצלחת ההצגה הגיע גם לשרהשתפרה את התלבושת המסובכת של איצ'ו... את התפאורה צייר יצחק הצייר... גם התאורה דיחקה תפקיד. הצלם האיר את הבימה בשני פנסים גדולים... וגם לי הגיע קרדיט. הרי הרעיון איך להציג את המחזה – (ההעמדה) בשפת התיאטרון – היה שלי. השם שלי אפילו הופיע ברשימת התודות שחולקה עם התוכנייה של ההצגה." (١٠٢)

"كان هناك عدد من الأشخاص المسئولين عن النجاح الكبير للعرض المسرحي، أولا الطبيب الذي كتب المسرحية، وكذلك "ايتشو" الذي لعب الدور ببراعة ... يعود الفضل ثالثا لـ "حنا"، لصوتها العميق، ولطريقتها في الإلقاء ... يعود الفضل في نجاح العرض المسرحي كذلك لـ "سارة" التي حاكت ملابس "ايتشو" المزركشة ... وأبدع الديكور الفنان "يتسحاق" ... ولعبت الإضاءة دورا كذلك، فقد أضاء "هتسلم" خشبة المسرح بمصباحين كبيرين ... وأنا كذلك لي فضل، فيما يخص فكرة كيفية تقديم المسرحية، لقد قمت بـ "الإعداد" بلغة المسرح، حتى أن اسمي ظهر في قائمة الشكر التي توزع مع برنامج العرض."

يتضح من الفقرة الفائتة التعاون بين أفراد الدار ومشاركة الطبيب (مدير الدار) لهم في إعداد مسرحية مثلت على خشبة المسرح، كتب لها الطبيب السيناريو، وشارك كل فرد بدور

في الإعداد، لتعبر الكاتبة في الفقرة السابقة عن العمل كفريق من خلال عرضها لهذا الجهد الجماعي.

عبرت الكاتبة عن حسرة "يانيك" القوية لكونه أعرجا، ففي الدار يلقى كل ذي موهبة حظه من التشجيع، وكان يتمنى أن يتحقق حلمه في العدو، واقتناء لقب البطولة، ولكن هذا الحلم الضائع أصبح أمرا بعيد المنال، بل مستحيلا:

"אם הייתי מגיע לכאן כשהרגליים שלי היו בסדר, הדוקטור היה מבין איזה אלוף אני, ושולח אותי לאימונים מקצועים, אולי אצל יאנוש קוסוסינסקי, אלוף פולין בריצה. כך הוא עשה עם אחרים – למשל הצלם, יצחק הצייר, ודויד הכנר– כשגילה בהם כישרון יוצא דופן." (١٠٣)

"إذا كنت أتيت من قبل وقدمي بخير حال، كان الطبيب سيفهم أي بطل أنا، وكان سيرسلني لإجراء تدريبات احترافية، ربما عند (يانوش كوسوسينسكي) بطل (بولندا) في العدو، هذا ما فعله مع الآخرين، مثل "هتسلم"، والرسام "يتسحاق"، و(دافيد) عازف الكمان عندما لاحظ فيهم موهبة فريدة."

حاولت الكاتبة من خلال هذه الفقرة نبذ فكرة اليأس والركون إليه في نفس الأطفال وتوجيه فكرهم نحو إيجابية الفعل والتصرف، بدلا من البكاء على اللبن المسكوب، فإذا كان حلم "يانيك" في العدو والمشاركة في الأوليمبياد قد أصبح أمرا مستحيلا، فإن موهبته في الكتابة الصحفية جديرة بأن تجعله يحلق ثانية في سماء الأمل، فإذا برئيسة تحرير المجلة الأسبوعية للدار تقول لـ "يانيك" بعد أن روى لها قصته:

"נראה שהרחמים העצמיים שלי לא הרשימו אותה, כי היא רק אמרה: אז תעוף עם המלים במקום לרוץ עם הרגליים." (١٠٤)

"ويبدو أن شفقتي على حالي لم تترك انطباعا لديها، فلم تقل إلا: "إذن فالتحلق مع الكلمات بدلا من أن تعدو على القدمين."

المحور الثاني: الإنصات إلى الطفل والحوار معه

من علماء النفس من يعتبر الإصغاء إلى النفس والآخرين فنا وليس تقنية، وهو دليل على الراحة النفسية والتصالح مع الذات ومع الآخرين[١٠٥] ، وتضفي الرواية أهمية خاصة لطرح عدد من حقوق الطفل المطبقة بتفاصيلها داخل دار أيتام "كورتشاك"، ويعد الإنصات إلى الطفل أحد حقوقه الرئيسة، فالسماح له بالتعبير عن رأيه، وإخراج ما في داخله من انفعالات هو حق أصيل للطفل، ووسيلة له وللكبير لاستنباط عدد من النتائج، والتوصل إلى عدد من الاستنتاجات، فتطرح لنا الكاتبة في الفقرة التالية مشهدا حواريا بين الطفل "يانيك" والطبيب "كورتشاك":

"מה – הפתעתי את עצמי כששאלתי– המפוגרים לא זוכרים שפעם גם הם היו ילדים?

איזה שטויות אתה מדבר יאניק – אמרה מירה במבוכה.

יש אנשים שכמעט לא זוכרים – ענה הדוקטור– ויש כאלה שזוכרים כמעט כל הזמן. אבל אני חושב שאלה שמתנהגים לילדים בצורה איומה הם אלה שמאוד מנסים לשכוח את ילדותם.

מיד הבנתי שהוא מאלה שזוכרים כל הזמן." [١٠٦]

"فاجأت نفسي أيضا عندما سألت: "ماذا؟ ألا يتذكر الكبار أنهم كانوا هم أيضا أطفالا ذات مرة؟"

قالت "ميرا" بارتباك: "ما هذه الحماقات التي تقولها يا "يانيك"."

أجاب الطبيب: "هناك أناس تقريبا لا يتذكرون وهناك من يذكرون طوال الوقت تقريبا، ولكني أظن أن هؤلاء الذين يتعاملون مع الأطفال بشكل عنيف هم هؤلاء الذين يحاولون جاهدين نسيان طفولتهم."

حينها أدركت أنه من هؤلاء الذين يتذكرون طوال الوقت."

لمس الطبيب من خلال إنصاته إلى "يانيك" مدى الألم الذي يعتصر نفسه بسبب لامبالاة الكبار بالأطفال أمثاله، كما لمس "يانيك" من خلال هذا الحوار مدى الاختلاف بين "كورتشاك" وغيره ممن صادفهم من كبار.

يساعد الحوار مع الطفل في تهدئته وفهمه، كما حدث مع الطفل (أهارون) في الرواية، فحين أنصت الطبيب إلى روايته الغاضبة وهو يبكي عن إلقاء الممرضة لبعض الأحجار التي جمعها سارع باتخاذ إجراء يعيد للطفل المريض هدوءه النفسي، ويجعل نفسه الصغيرة تسكن، فنادى للممرضة واعترض على سلوكها هذا:

"כשאהרון גילה את זה הוא לא הפסיק לבכות במשך שעות, אחרי שהדוקטור ראה אותו בוכה ככה ושאל מה קרה ושמע את הסיפור כולו, הוא מיד קרה לאחות שאל אותה אם היא באמת זרקה לאהרון את האוסף?" (١٠٧)

"عندما اكتشف (أهارون) هذا لم يكف عن البكاء طوال ساعات، وبعد أن رآه الطبيب يبكي هكذا، وسأله عما حدث، وسمع الرواية كلها، استدعى الممرضة على الفور، سألها إن كانت قد ألقت ما جمعه (أهارون) فعلا."

ساهم الحوار مع الطفل في الرواية في إماطة اللثام عن بعض الأمور الخافية عنه، وساعده على التخلي عن بعض العادات السيئة التي كان يظن على سبيل الخطأ أنه لا فكاك من براثنها، وهذا بالضبط ما حدث مع "يانيك" حين أدرك من خلال حواره مع الطبيب أن السرقة لا تجري مجرى الدم، وأنها لا تورث، والخلاص منها يتم ببساطة بحرية وإرادة من يريد التخلي عنها، هذا الأمر الذي فك عقدة "يانيك"، وجعله يحلق في أفق رحب من الأمل في ترك السرقة:

"אולי הגנבות זורמות אצלי בדם, אולי ירשתי את הבעיה הזאת מאבא שלי, מירה תופרת כמו אמא שלנו, ואני גונב כמו אבא.

הוא התבונן בי במבט חד וטען בתוקף: הנטייה לגנוב לא עוברת בתורשה.

אתה בטוח – שאלתי.

אני רופא אני מבין בדברים כאלה – ענה – יש לא מעט דברים חיצוניים ופנימיים, שעוברים אלינו מההורים שלנו, אבל לא גנבות. הן לא זורמות בדם. אתה תהיה גנב רק אם תחליט שאתה גנב, יש לך חופש בחירה.

חשבתי שזה ביטוי יפה, חופש בחירה ." [١٠٨]

"ربما تجري السرقة عندي مجرى الدم، ربما ورثت هذه المشكلة من أبي، "ميرا" تحيك مثل أمي، وأنا أسرق مثل أبي.

نظر إليَّ نظرة ثاقبة، وقال بشدة: الميل للسرقة لا يورث

قلت: هل أنت متأكد؟

أجاب: "أنا طبيب وأفهم في هذه الأمور، هناك الكثير من الأمور الخارجية والداخلية التي تنتقل لنا من والدينا، ولكن ليست السرقة، هي لا تجري مجرى الدم، سوف تكون لصا فقط إن قررت أن تكون لصا، لديك حرية الاختيار."

أخذت أفكر أن هذا تعبير جميل حرية الاختيار"

إن نغمة تعبير "حرية الاختيار" كان له وقع السحر على أسماع "يانيك"، فقد حرره من عبوديته لعادته تلك، وجعله إنسانا حرا قادرا على الاختيار.

المحور الثالث: التوجيه دون الإجبار

أوضحت الرواية جوانب من مباديء "كورتشاك" التربوية، فترد في الفقرة التالية ردا من "كورتشاك" في برنامجه الإذاعي على أحد الأطفال الذي يشكو تعرضه للضرب من والديه، ويؤكد أنه يرغب بشدة في أن يرد لهم هذه الضربات:

"הדוקטור שלנו אמר שהוא מתנגד למכות, במיוחד כשמבוגרים מכים ילדים, אבל נראה לו שזה רעיון גרוע שילדים יכו את ההורים. הוא הציע לילד לבקש מההורים לספור עד עשר לפני שהם מחטיפים לו. כשקצת מתקררים מהרוגז, טען, כבר לא מרגישים חזק כל כך את החשק להרביץ." (١٠٩)

"قال طبيبنا أنه يعارض الضرب، وخاصة عندما يضرب الكبار الصغار، ولكن بدت له فكرة سيئة أن يضرب الأطفال والديهم، اقترح على الطفل أن يطلب من والديه أن يعدوا حتى عشرة قبل أن يشبعونه ضربا، وأدعى أنه عندما تهدأ غضبتهما قليلا لن يشعران بهذه الرغبة الشديدة جدا في ضربه."

إن معارضة الضرب تنبع أساسا من حق الطفل في التوجيه بصورة سليمة، وغير مؤذية نفسيا أو بدنيا، ودون إجبار على فعل معين، فعلى الكبار أن يكونوا مجرد نصاح دون أن يتحولوا إلى آداة غليظة للعقاب القاسي، ويؤكد الطفل "يانيك" على براعة الطبيب في عرض الفكرة التربوية بطرق عدة تمتاز بالتشويق والتجديد، فكان أحيانا بدلا من أن يجيب مباشرة عن أسئلة المستمعين، يروي حكاية بسيطة تحمل إجابات جمة عن هذه الأسئلة، وتوفر أسلوبا شيقا للمستمعين كي يتابعوا بانسجام دون ملل، فيصف "يانيك" في الفقرة التالية إحدى حلقات البرنامج الإذاعي الذي أصغى إليه :

"אחרי שענה למכתב, הדוקטור כן סיפר סיפור, אבל לא בדרך רגילה, זה נשמע כמו תשובה למכתב או לסיפור של ילד שמבזהז את כל הכסף שלו ועוד מסתבך בחובות ובהלוואות. הדוקטור כמו דבר אל הילד הזה, אבל בעצם סיפר למאזינים איך הילד מסבך את עצמו, ואיך הוא יכול לצאת מהתסבוכות שלו, חשבתי שזאת דרך יפה לספר סיפור, כאילו הקשבנו לצד אחד בשיחה, ובכל זאת הבנו הכל." (١١٠)

"وبعد أن أجاب الطبيب عن الخطاب قص حكاية كذلك، ولكن ليس كالمعتاد، يبدو هذا وكأنه إجابة عن خطاب أو حكاية طفل يضيع نقوده كلها، وها هو قد تورط في الديون والقروض، كان الطبيب وكأنه يتحدث إلى هذا الطفل، ولكن في الحقيقة هو يحكي للمستمعين كيف ورط الطفل نفسه، وكيف استطاع أن يخرج من أزماته، جال في خاطري أن هذه طريقة جميلة لرواية قصة، وكأننا استمعنا لطرف واحد في الحوار ورغم ذلك فهمنا كل شيء."

لعل من أبرز النماذج المعبرة عن التوجيه التربوي دون إجبار الطفل هذا الموقف الذي جمع بين "يانيك" والسيدة "ستيفا"، فهي لم تكن راضية عن عدم زيارته لأخته الكبرى في الأجازات، ولكنها لم تثر عليه لذلك السبب، إنما لأنه حصل على المال من خزينة الدار المخصصة للزيارات، واعتبرت أن ذهابه بها إلى السينما يعد تضليلا وسرقة، لذا قررت مقاضاته في محكمة الدار على ذلك:

"את תובעת אותי על זה שלא ביקרתי את מירה[١١١]? נבחתי בשקט לעברה.

אני לא יכולה להכריח אותך לבקר אותה – למרות שאני חושבת שזאת כפיות טובה נוראה מצדך – אז אני תובעת אותך על גנבה." [١١٢]

"قلت لها بصوت هادئ: "هل سترفعين دعوى ضدي لأنني لم أزر "ميرا"

لا يمكنني أن أجبرك على زيارتها، على الرغم من أنني ... أرى أن هذا إنكار رهيب للجميل من جانبك، ولكنني سأرفع دعوى ضدك بسبب السرقة."

تجلت فكرة عدم الإجبار في الفقرة الفائتة من خلال عدم إلزام الطفل بفعل معين على غير هواه حتى وإن كان الكبير لا يؤيد هذا السلوك، فإن هذا ينمي داخله التفكير السوي المبني على الاختيار السليم، وليس على الجبرية والفرضية، ولكن لا مانع من التوجيه والنصح كما فعل الطبيب مع "يانيك" ذات مرة عند عودتهما من مقر المجلة الأسبوعية للدار، فقد حاول تنبيه إلى خطأ تجاهله لزيارة أخته، فنقرأ:

"הוא שאל מה לדעתי הכי חשוב שיהיה לעתונאי.

סקרנות וחקרנות – עניתי, כי זה מה שאמר לי לפני שהכתיר אותי כעיתונאי בנשמה.

מה עוד?

חוש צדק ורדיפה אחרי האמת– שלפתי במהירות. הרגשתי שיש לי אותם. הרגשתי טוב.

כן– הוא אמר – וגם לב אכפתי.

ידעתי שאמר את זה כי לא ביקרתי את מירה– הרגשתי כמו בלון שדקרו אותו בסיכה.

זה לא קשור בעיתונות – טענתי בכעס .

הוא שתק

אני לא יכול לסלוח לה– אני הסברתי לו.

על מה?

שתקטי רגע, ואז אמרתי: אני פשוט לא יכול.

הוא הסתכל בי במבט חד: כמו שאתה בעצמך אמרת, אתה אדם חופשי, יש לך אפשרות בחירה." (١١٣)

"وسأل ما هو الشيء المهم في الصحفي من وجهة نظري؟

أجبت: "الفضول، والتحقق." لأن هذا ما قاله لي قبل أن يتوجني كصحفي بالفطرة.

"ماذا أيضا؟"

سارعت بالإجابة: "الحاسة الصادقة، والسعي وراء الحقيقة." فقد أحسست أنني أملكها، أحسست بشدة.

قال: "أجل، وقلب مبال."

أدركت أنه قال ذلك لأنني لم أزر "ميرا"، فأحسست أنني بالون وخزوه بإبرة.

أدعيت بغضب: "هذا لا علاقة له بالصحافة."

صمت

أوضحت له: "أنا لا استطيع أن أسامحها."

"على ماذا؟"

صمتت لحظة ثم قلت: "أنا ببساطة لا استطيع."

نظر إلي نظرة حادة قائلا: "مثلما قلت بنفسك، أنت إنسان حر، ولك حرية الاختيار."

أوضحت الفقرة نهاية الحوار التربوي السليم، من خلال إفساح مجال للطفل ليختار بحرية بعد توجيه النصح إليه.

المحور الرابع: التعبير عن الحب

يبدو التعبير عن الحب واضحا لدى الطبيب من خلال خوفه الشديد على مشاعر "يانيك" من أن تمس بسوء إذا لم يجد الفحص، ولم يكن هناك علاج لقدمه الكسيحة، فقد أكد له مرارا وتكرارا أنه مجرد فحص حتى لا يتعلق بأمل زائف، فنجد "يانيك" يروي ذلك بقوله:

"**כשירדנו מהחשמלית בתחנה ליד בית החולים, חזר הדוקטור ושאל אותי, אתה זוכר שזאת רק בדיקה, נכון?**" (١١٤)

"عندما نزلنا من الترام إلى المحطة المجاورة للمشفى، عاد الطبيب وسألني: أنت تذكر أن هذا مجرد فحص، أليس كذلك؟

أجبت: واضح"

يظهر التعبير الشديد عن الحب في شخص "ميرا" التي ربت أخيها "يانيك"، وبحثت له عن دار أيتام فاخر لتودعه إياه حين ضاق بها الحال، ولم تستطع الإنفاق عليه، وهي حين قررت ترك بولندا والسفر إلى فلسطين، وأتى لها أخو زوجها بتأشيرة لها ولزوجها ولأبنائهما لم تقبل أن تدير ظهرها لأخيها وترحل، بل أصرت على سفره معهم، وها هي تعبر له عن إصرارها على التشبث ببقائها معه بقولها:

"אמרתי לסטאשק: אח שלך חייב לדאוג גם לאח שלי. בלי יאניק אנחנו לא נוסעים, הייתי רצינית מאוד, אמרתי לא אם אין כניסה ליאניק, אני נשארתה כאן עם הילדים, ויהיה מה שיהיה. תיסע לבד, אם אתה רוצה, לאח שלו לא היה קל לארגן עוד אשרה אבל הוא הצליח! אתה יכול לבוא אתנו." (١١٥)

"قلت لـ "ستاشك"أن أخيه عليه أن يقلق كذلك لأمر أخي ، ولن نسافر بدون "يانيك"، وقد كنت جادة جدا حين قلت له: إن لم يكن هناك تأشيرة دخول لـ "يانيك"، فأنا سأبقى هنا مع الأولاد، وليكن ما يكون، سافر وحدك إن أردت، لم يكن سهلا على أخيه أن يأتي بتأشيرة أخرى ولكنه نجح، ويمكنك أن تأتي معنا."

تقدم غالبا فلسطين في أدب الطفل العبري الحديث على أنها الحل المثالي لمشاكل اليهود، فإذا تعثرت الأمور أو تكدرت الأجواء كانت الهجرة هي الحل، فالقلق هنا في بولندا، بينما في الحصول على التأشيرة أمرا مبددا لهذا القلق(١١٦)

عبرت له كذلك عن حبها كما تعبر الأم لولدها عن الحب بالمعانقة والحنان، وذلك الذي اعتادت أن تهبه إياه منذ كان طفلا رضيعا، وهو يصف سلوكها هذا رابطا حبه لها بحبه لأمه في قوله:

"יאניק, היא התקרבה אלי וכרכה את זרועותיה סביבי לחיבוק, כמו שהיתה עושה כשהייתי ממש קטן, כשאהבתי אותה כמו שאוהבים אמא." (١١٧)

"يانيك" اقتربت مني، ووضعت ذراعيها حولي لتعانقني، كما كانت تفعل عندما كنت صغيرا جدا، عندما كنت أحبها كما أحب أمي."

تأكيدا على منتهى الارتباط والحب من جانب "يانيك" كذلك نجده يقول:

"**נכון שלא ראיתי אותה המון זמן, אבל כל הזמן הזה ידעתי שהיא לא רחוקה, שהיא לפחות באותה עיר, במרחק של רבע שעה ממני. לא רציתי שתעזוב. ועוד לתמיד.**" (١١٨)

"حقا لم أرها منذ زمن بعيد، ولكن طوال هذا الوقت كنت أعرف أنها غير بعيدة، وأنها على الأقل في المدينة نفسها، على بعد ربع ساعة مني، لم أرد أن تغادر إلى الأبد"

مثلت "ميرا" بالنسبة لـ "يانيك" الأخت والأم التي لم تلده، كما مثل الطبيب "كورتشاك" بالنسبة له الأب والقدوة، فيصف البطل الصغير سلوك هذا الطبيب الأب، وكيف يعبر عمليا عن حبه من خلال رعايته له وهو مريض، فيقول :

"**בלי שעניתי הוא הבין שאני מרגיש גרוע, ועזר לי לצלוע לשירותים, לשתות עוד כמה לגימות מים. אחר כך הניח לי על המצח רטייה חדשה, רטובה וקרה, ואמר לי שהכל יהיה בסדר.**" (١١٩)

"عرف دون أن أجيب أني أعاني، ساعدني على الذهاب إلى الحمام، وعلى أن أرشف عدة رشفات من الماء، وبعد ذلك وضع على جبهتي فوطة جديدة مبللة وباردة، وقال لي أن كل شيء سيكون على ما يرام."

إن تصنيف "يانيك" للطبيب "كورتشاك" على أنه الأب لم يكن من جانبه فقط، ف "كورتشاك" كذلك كان يرى فيه الابن، وقد سعد "يانيك" بشدة حين دعاه (يا ولدي):

"**שתקנו קצת, ואז הוא אמר, בני עשית בחירה נכונה.**

הוא קרא לי (בני)." (١٢٠)

"صمتنا قليلا وحين ذلك قال: "يا ابني لقد اخترت الاختيار السليم."

لقد قال لي (ابني)"

يواصل الطبيب تعبيره الجارف عن حبه لـ "يانيك" كأحد أبنائه في الملجأ حين علم بقرار "يانيك" للسفر إلى فلسطين فيقول على لسان "يانيك":

"**הדוקטאר אמר: אני אתגעגע אליך.**

גם אני.

ביקשתי מתנת פרידה ריאיון בלעדי.

הוא הופתע: אבל ממילא לא תהפוך לכתב קבוע ב(סקירה קטנה) כי כבר לא תהיה פה.

אני יודע. לא אכפת לי אפילו אם הריאיון לא יתפרסם." (١٢١)

" قال الطبيب: "سوف اشتاق إليك."

"وأنا أيضا."

طلبت هدية الوداع، هذا الحوار الصحفي الأزلي

اندهش قائلا: "ولكنك أبدا لن تصبح كاتبا مثبتا في (إطلالة صغيرة) لأنك لن تبقى هنا بعد الآن."

"أنا أعرف، لا يهمني حتى وإن لم ينشر الحوار الصحفي."

كانت الهدية التي أهداها الطبيب إلى ابنه المسافر حوارا صحفيا كان يتمنى أن يديره معه، إلا أنه رفض من قبل، كما كان يرفض دائما أن يتحدث عن نفسه، ولكنه قرر أن يهبه هذه الهدية ما دامت لن تنشر، وكانت هذه الهدية من وحي خيال الأديبة للتعبير بقوة عن مدى محبة الطبيب لأبنائه.

المحور الخامس: الحث على الارتقاء

إن الحث على الارتقاء يجب دائما أن تصحبه قوة الملاحظة، إذ أن المتابعة المستمرة لمهارات الطفل، وسلوكه الإبداعي يمكننا من استنباط ما يتميز به ومحاولة تنميته والارتقاء به، وقد لمس الطبيب "كورتشاك" في "يانيك" ملكة الكتابة الصحفية، فحاول تنميتها وحثه على التنبه إليها والشعور بتميزه فيها، فيقول "يانيك" في روايته:

"כמעט שכחתי – פנה אלי הדוקטור– והניח על השולחן עוד כמה דפי עיתון– כבר מזמן רציתי לשאול אותך אם אתה מכיר את (סקירה קטנה).

לא– עניתי– אני מכיר רק את העיתון (סקירה יומית)

(סקירה קטנה) היא עיתון ילדים שמצורף לסקירה בסוף השבוע – הסביר.

לקחתי גיליון – זה לא נראה כמו עיתון ילדים– אמרתי.

נכון– חייך הדוקטור מרוצה– זאת בדיוק הכוונה. זה עיתון לכל דבר, שמיועד לילדים ונוער, אבל בלי מעשיות או איורים. גם העיתונאים בסקירה קטנה בם ילדים, מעניין אותי מה תחשוב עליו.תעיין קצת ותן לי תשובה כנה. תתעלם מהעובדה שאני יסדתי אותו, טוב? (١٢٢)

"كدت أنسى" التفت إلى الطبيب، ووضع على المنضدة عدة جرائد وواصل: "كنت أريد أن أسألك من زمن هل تعرف (إطلالة صغيرة)"

أجبت: "كلا، أنا أعرف فقط جريدة(إطلالة يومية) "

أوضح قائلا: "(إطلالة صغيرة) هي مجلة للأطفال تصدر كملحقا لـ (إطلالة) في نهاية الأسبوع"

أخذت عددا وقلت: "إنها لا تبدو مثل مجلة الأطفال"

ابتسم الطبيب وقال راضيا: "صحيح،هذا بالضبط هو المقصد، هذه مجلة لكل شيء، مخصصة للأطفال والشباب، ولكن بدون قصص أو رسوم، وكذلك الصحفيون بـ (إطلالة صغيرة) هم أطفال، يهمني أن أعرف رأيك بها، راجعها قليلا وأعطني إجابة شافية، وتجاهل حقيقة أنني المؤسس، حسنا؟"

نبَّه الطبيب في الفقرة السابقة الطفل بطل الرواية إلى تميزه، بل أنه أعطاه بعض التكريم طالبا معرفة رأيه، وذلك بما يحمله من تشجيع ودعم وتحفيز، يحمل كذلك تنبيه إلى الموهبة والقدرة كبداية للاستفادة منها وتحفيزها على الارتقاء، وتحمل الفقرة التالية إشارة إلى مدى إحساس "يانيك" بالفخر عندما أوضحت له "حنا" مقدار اهتمام الطبيب بموهبته، ويظهر ذلك في رواية "يانيك" حيث قال:

"הרבה יודעים מה הם אוהבים ומה הם חולמים להיות כשיגדלו – חשבתי בקול– נתן אופה. יוסק מדריך נוער. רוזי עורכת דין. את ספרנית. אבל אני מאלה שלא יודעים מה הם אוהבים ועל מה הם חולמים.

מה אתה עושה צחוק – שאלה חנה – ומה עם כל העיתונים האלה? אפילו הדוקטור רוצה לשמוע את דעתך על העיתון שלו.

מה זה קשור? שאלתי

כמו שברור שאני בן אדם של ספרים, ככה ברור שאתה בן אדם של עיתונים –היא פסקה– יש משהו שאתה דווקא כן מתעניין בו מאוד. נראה שהדוקטור חושב שאתה גם מבין בו.

מתוכי התנפחתי מגאווה." (١٢٣)

"أخذت أفكر بصوت: "الكثيرون ماذا يحبون وبما يحلمون أن يكونوا حين يكبرون، "ناتان" خبازا، و"يوسيك" مدرب للشباب، و"روزي" محامية، وأنت أمينة مكتبة، ولكني من هؤلاء الذين لا يعرفون ما يحبون، وبما يحلمون"

سألت "حنا": "هل تمزح؟ وما كل هذه الصحف، حتى الطبيب طلب أن يسمع رأيك في مجلته."

سألت: "وما علاقة هذا؟"

اختصرت قائلة: "إذا كان واضحا أنني إنسانة تحب الكتب فأنت إنسان تحب الصحف، هناك شيء خاص أنت تهتم به جدا، حتى أن الطبيب يعتقد أنك تفهم فيه"

امتلأت فخرا في داخلي."

لا يتوقف الحث على الارتقاء في مجرد التحفيز والدعم والتنبيه، بل يمتد إلى ما وراء ذلك من توجيه الطفل إلى ضرورة خوض التجربة، فحين أتى الطفل "يانيك" إلى الطبيب متسائلا عن ماهية إحدى الشخصيات التي قرأ اسمها، بل وسمع الأطفال في الشوارع يلقبون

بها اليهود، تجلت في ذهن الطبيب فكرة إتاحة المجال لـ "يانيك" لخوض التجربة، وجمع المعلومات بنفسه، والكتابة عن "بيلييس"، فيقول "يانيك" راويا للحوار الذي دار بينه وبين الطبيب:

"בערב שאלתי את הדוקטור: מי זה ביליס?

מי?

ביליס. מקללים אותנו וקוראים לנו ביליס, ביליסים.

מנחם מנדל ביליס היה ... הדוקטור התחיל לענות ואז עצר לשנייה והמשיך כאילו לעצמו: ודווקא הסימור של ביליס ממחיש מה זאת גזענות עיוורת, למה היא כל כך מסוכנת ...

למה? מי הוא היה? מה קרה לו? מתי?

הפנים והעיניים של הדוקטור התרככו: יאניק אתה עתונאי בנשמה – אמר"(١٢٤)

"في المساء سألت الطبيب: "من هذا "بييليس"؟"

"من؟"

"بييليس" يسبوننا وينادوننا بـ "بييليس"، (بييليسيين)."

بدأ الطبيب في الإجابة: "كان (مناحم مندل بيييليس) ..." وتوقف للحظة ثم واصل وكأنه يحادث نفسه: "إن قصة بييليس توضح كيف أن العنصرية عمياء، لماذا هي خطيرة إلى هذا الحد ..."

"لماذا؟ من كان هو؟ ماذا حدث له؟ ومتى؟"

بهت وجه الطبيب وعيناه وقال: ""يانيك" أنت صحفي بالفطرة."

جمعت الفقرة السابقة بين إدراك الطبيب اليقيني لحاسة "يانيك" الصحفية، وبداية حثه لخوض تجربته بنفسه فنجده يقول لـ "يانيك":

"אז תכתוב לנו על ביליס.

מה לכתוב? נבהלתי

מי הוא היה? מה קרה לו? מתי ואיפה?

השתתקתי לא ידעתי עליו כלום, על ביילים הזה. לא ידעתי איך משיגים מידע.

הדוקטור אמר שייתן לי שם ומספר טלפון של עורך דין שבקיא בפרטי הפרשה. (אולי ראיתי אותו הוא היה בין האורחים שלנו בחנוכה... הוא חבר באגודה לעזרת היתומים היהודים. אני מציע שתיקבע איתו פגישה ותראיין אותו על ביילים." [١٢٥]

"أكتب لنا إذن عن "بييليس"."

اندهشت قائلا: "ماذا أكتب؟"

"من كان؟ ماذا حدث له؟ متى وأين؟"

سكت فلم أكن أعرف عنه شيئا، عن "بييليس" هذا، ولم أكن أعرف كيف يحصلون على المعلومات.

قال الطبيب أنه سيعطيني اسم ورقم تليفون محامي متخصص في تفاصيل القضية، وقال: "ربما رأيته، قد كان من ضيوفنا في عيد الحانوكا، وهو عضو في رابطة لمساعدة اليهود الأيتام، أنا اقترح أن تحدد معه موعدا، وتجري معه حوارا صحفيا عن "بييليس"."

المحور السادس: الاهتمام الصحي بالطفل

فسر الطبيب "كورتشاك" سبب مروره على أسرة أطفال ملجأه في الليل بالآتي:

"אני רופא ילדים – הסביר– וזה עוד דרך לבדוק מה שלום כולם. אני עובר בין המיטות כדי להקשיב לנשימות. נשימה שורקת, צרודה, או רטובה מליחה, מעידה על מה שקרה בדרכי הנשימה, באף ובריאות." [١٢٦]

" فسر قائلا: أنا طبيب أطفال، وهذه أيضا طريقة للتيقن من سلامتهم جميعا، أنا أمر بين الأَسِرَة حتى استمع إلى الأنفاس، نفس يصفر، ونفس يصدر صوتا أجش، ونفس رطب زنك، وهذا يدل على ما يحدث في ممرات التنفس، وفي الأنف وفي الرئتين."

تحمل هذه الفقرة التعبير عن مدى الاهتمام الصحي بالأطفال، والاطمئنان لحالهم، وتفقدهم المتقن، بما يحمله ذلك من إشارة إلى حق الطفل في الرعاية الصحية السليمة والدائمة، وهذا الاتقان هو ما دفع "يانيك" أن يطوف في وديان الأمل في أن يشفى من عاهته، وها هو يسأل الطبيب:

"אתה יכול לתקן לי את הצליעה? שאלתי

הפעם השאלה המתלהבת שלי לא הצחיקה אותו, הוא ענה ברצינות: אני לא יודע אם זה אפשרי.

מוקדם יותר, כששקל ומדד אותי, הוא גם הסתכל ברגליים, בעיקר התעניין ברגל הנגררת, הכואבת, ובצלקת הגדולה שנשארה מתחת לברך. עכשיו הוא אמר: אם תרצה אקח אותך לבית חולים לבדוק את הרגל." (١٢٧)

"سألته: "هل يمكنك أن تعالج لي العرج؟!" إن سؤالي الحماسي هذه المرة لم يضحكه، بل أجاب بجدية: "أنا لا أعرف إن كان هذا ممكنا."

منذ فترة سابقة تماما عندما قاس لي الوزن والطول، نظر أيضا إلى قدمي، واهتم أكثر بالقدم الكسيحة التي تؤلمني، وكذا بالجرح العميق الذي بقي أسفل الركبة، أما الآن فقد قال لي: " إن كنت تريد فسوف آخذك إلى المشفى لفحص القدم."

تشير الفقرة الفائتة إلى أن بداية عناية الطبيب بالساق الكسيحة لم تكن بعد تنبيه "يانيك" له، بل فحصها الطبيب بعناية منذ أن وطأت قدم "يانيك" أرض الملجأ، ورغم ذلك لم يرفض إجراء فحص إضافي من خلال إجراء أشعة على القدم ربما يجد في الأمر شيء.

عندما أصيب "يانيك" بالغدة النكفية، وتورم الحلق، والتهاب الحنجرة كانت العناية الصحية به وبغيره من المصابين بالمرض نفسه على أشد ما يكون، وقد وصلت إلى حد الاهتمام بنوعية الطعام المقدم لعلمهم بعدم قدرة المرضى على ابتلاع الطعام في تلك المرحلة من المرض، فيحكي "يانيك" واصفا ما يقدم له ولزملائه المصابين:

"לא שיכולתי לבלוע משהו, חוץ מנוזלים. לכן הגישו לנו מרק עוף עם אטריות, שהחליקו בגרון."[١٢٨]

"ليس في استطاعتي ابتلاع أي شيء، فيما عدا السوائل، لذلك يقدمون لنا حساء الدجاج مع الشعرية، التي تنزلق في الحلق"

يمتد الاهتمام الصحي بالطفل في دار أيتام كورتشاك إلى الاهتمام النفسي كذلك، وليس الاهتمام الصحي الجسدي فقط، فقد اخترع الطبيب لـ "يانيك" صاحب الساق الكسيحة حذاء خاصا مرتفع النعل في أحد زوجيه حتى يرفع القدم المصابة لمستوى القدم السليمة، فتعتدل مشية الطفل، بما يحمله ذلك من تأثير نفسي مريح وتأثير جسدي نافع، وهذا ما رواه "يانيك":

"כמה הופתעתי כשפשוט ממני לחלוץ נעליים. עשיתי כדבריו, ואז הוא הגיש לי זוג נעליים אחר, לנעל אחת היתה סוליה עבה יותר מאשר לשנייה. הוא ביקש שאמדוד. נעלתי את הנעליים, הרגל עם העיגול העקום, עם הזיהום, הנעל עם הסוליה הגבוהה. עשיתי כמה צעדים ונעצרתי נדהם, עם ההגבהה לא צלעתי בכלל!

אנו לא יכולים לרפא את הדלקת ולהחזיר לך את היכולת לרוץ- אמר הדוקטור- אבל אני חושב שההגבהה תעזור להליכה. כשההליכה תשוב להיות מאוזנת גם הכאבים יפחתו." [١٢٩]

"اندهشت عندما طلب مني ببساطة أن أخلع نعلي، فعلت ما قاله، فقدم لي زوج نعال جديد، لإحدى الأزواج كعب أكثر سمكا من الآخر، وطلب مني أن أقيسه، لبست الحذاء،

وارتدت القدم ذات الدائرة الداكنة والتلوث النعل ذو الكعب السميك، سرت عدة خطوات وانتابتني الدهشة، فبسبب هذا الارتفاع لم أعرج تماما.

قال الطبيب: "نحن لا يمكننا علاج الالتهاب حتى نعيد لك القدرة على العدو، ولكنني أظن أن الارتفاع سوف يساعد في المشي، وعندما يصبح المشي متزنا سوف تخف الآلام."

أرى أن العناية النفسية السليمة بالطفل لا تقتصر على ما اخترعه الطبيب له من حل في الفقرة السابقة، بل تمتد لتشمل إحساس الطفل بالعناية والمبالاة لأمره والرغبة في إرضائه وتهدئته والتفكر في حل مشكلاته وتجاوزها بكل الوسائل والطرق المتاحة وقدر المستطاع.

المحور السابع: تهيئة المكان المناسب لمعيشة الطفل

تصف "ميرا" لأخيها "يانيك" الصورة التي تبدو عليها دار الأيتام الخاصة بـ "كورتشاك" بشكل يكشف مدى اهتمام صاحبها بتهيئة بيئة مناسبة لمعيشة الطفل، واحترام آدميته، وتوفير سبل الراحة والنظافة والأمان:

"יש הסקה מרכזית ורצפה מעץ ומנורות חשמל, נקי שם, אין פרעושים וכינים. הפעם לא יהיו לך כאלה בראש. זוכר כמה התגרדתי? גם אין ריחות מגעילים. ראיתי את חדרי השינה. שני אולמות גדולים, אחד לבנות והשני לבנים, ולכולם יש סדינים לבנים-לבנים. בחיי, רק בבית של הגברת ראיתי סדינים לבנים עד כדי כך ומתוחים על המיטות, בלי קמטים- היא פרשה אצבעות כדי להדגים עד כמה הסדינים מתוחים- תשמע, אפילו הלכתי לבתי השימוש של הילדים, לא של הגדולים. והם בתוך הבית בתי השימוש, לא בחצר כמו אצלנו. הם כל כך נקיים, ממש מצוחצחים." (١٣٠)

"يوجد تدفئة مركزية وأرضية من الخشب ومصابيح كهربائية، المكان نظيف هناك بلا براغيث أو قمل، هذه المرة لن يكون لديك جروح كهذه في الرأس، أتتذكر كم خدشت؟ ولا

يوجد كذلك روائح كريهة، شاهدت غرف النوم، قاعتان كبيرتان إحداهما للبنات والأخرى للبنين وبهما جميعا شراشف بيضاء ناصعة، وبحياتي لم أر إلا في بيت السيدة شراشف بيضاء إلى هذه الدرجة، وهي مفرودة على الأسرة وغير مجعدة."، وقد بسطت أصابعها لتبرهن إلى أي حد كانت الشراشف مفرودة، "اسمع. لقد ذهبت إلى دورات مياه الأولاد وليس الكبار، فدورات المياه داخل الدار وليست في الفناء كما لدينا، وهي نظيفة جدا بل لامعة في الحقيقة."

أما عن توفر الطعام فحدث ولا حرج:

"**יש אוכל שלוש פעמים ביום. לחם, בשר, גבינה, חלב, מרק. קקאו, דגים מלוחים אפילו.**" (١٣١)

"يوجد طعام ثلاث مرات باليوم. خبز ولحم وجبن ولبن وحساء وكاكاو، وكذا يوجد أسماك متبلة."

بل إن وسائل الرفاهية وصلت إلى حد وجود مصعد يهبط براكبه إلى حيث المطبخ ويرتفع به حاملا الطعام إلى المطعم:

"**יש שם מעלית רק לאוכל. האוכל עולה במעלה מהמטבח לחדר האוכל.**" (١٣٢)

"هناك مصعد للطعام فقط، الطعام يصعد بالمصعد من المطبخ للمطعم."

يؤكد "يانيك" على ما وصفته "ميرا" بحماس بعد أن رأى بنفسه، فيقول:

"**נכנסנו למה שנראה לי כמו ארמון– בית גדול ונקי ומואר, הלכתי אחרי מירה דרך מסדרון פתוח לאולם גדול, שבחלק אחד שלו היו שולחנות קטנים וכיסאות, ובחלק אחר ספריה. בין הקומה הראשונה לשנייה היו שני יציעים, כמו מרפסות גדולות ועמוקות עם מועקה סורגים נמוך. באחד מהם עמד פסנטר כנף ענק ומבריק.**" (١٣٣)

"دلفنا إلى ما بدا لي كالقصر، مكان كبير ونظيف ومضاء، سرت خلف "ميرا" عبر ممر مفتوح على قاعة كبيرة، في إحدى أجزائها تستقر طاولات صغيرة ومقاعد، وفي جزئها الآخر مكتبة، وبين الطابق الأول والثاني يستقر جناحان مثل شرفتين كبيرتين وواسعتين إلى جوار درابزين قصير حديدي، وفي أحد الجانبين يستقر بيان مجنح ضخم ولامع."

المحور الثامن: الثقة بالطفل والاعتماد عليه

إن الاهتمام بالطفل في دار كورتشاك للأيتام وصل إلى حد زرع الثقة به، وتحميله بعضا من المسئولية، وجعله يخوض التجارب بنفسه ليخرج منها بنتائج طيبة تنمي ذاته وشخصيته، فأطفال الدار كما تروي "ميرا" هم القائمون على إدارتها تحت إشراف من الكبار:

"תשמע משהו– התלהבה מירה– בבית היתומים של קורצ'אק הילדים מנהלים בעצמם את המוסד. המבוגרים שם רק משגיחים ועוזרים. היית מאמין לדבר כזה?" (١٣٤)

"تحمست "ميرا" قائلة: "أقول لك شيئا في دار أيتام كورتشاك يدير الأطفال بأنفسهم المؤسسة والكبار هناك هم مجرد مراقبين ومعاونين هل تصدق هذا الأمر؟"

نجد "يانيك" في الفقرة التالية يتعجب من ثقة أحد أبناء الملجأ بذاته كنتيجة طبيعية لمروره بتجارب داخل الدار مكنته من الوصول إلى خبرات صحيحة وغير مضللة، في مقابل "يانيك" الضيف الجديد على الدار الذي كان مشبعا بخبراته السيئة والتي حصل عليها من إحدى دور الأيتام التي سمتها الاهمال، فيقول لمدربه في دار أيتام كورتشاك متصورا أنه سيوفر له الحماية مقابل المال:

"בקול מעובה באומץ: אין לי כסף לשלם לך דמי חסות, מה תעשה לי?

הוא אמר ששמע על דמי חסות ודברים כאלה, אבל לא חשב שזה קיים במקומות קרובים כל כך– בכל אופן – סיכם– כאן זה לא עובד ככה.

כן? אך איך זה עובד? זלזלתי בגלוי.

כנראה להפך ממה שאתה מכיר – הוא ענה – מי שבא מקבל חונך, שזה מין שומר, מלווה שאחראי עליו. היה לך מזל וקיבלת אותי– כמה שהוא היה מרוצה מעצמו – אז אני עושה לך היכרות עם האנשים והמקום, וכל בוקר, אחר צהריים וערב אתה איתי." (١٣٥)

"وأعلنت بصوت جسور: "ليس لدي مال لأدفعه لك مقابل الحماية، ماذا ستفعل معي؟"

قال عندما سمع كلمة (مقابل الحماية) ومثل تلك الأمور إنه لم يتصور أن أمور كهذه قد تحدث في أماكن قريبة جدا، ثم لخص حديثه قائلا: "عامة، هنا لا يسير الأمر هكذا."

استهزأت به بوضوح: "حقا، كيف يسير الأمر إذن؟"

أجاب: يبدو إنه على عكس ما تعرف تماما، من يأتي يحصل على مدرب، وهو يشبه الحارس والرفيق المسئول عنه، وقد كنت محظوظا إنك حصلت علي ..." كم كان راضيا عن نفسه، "أنا سأعرفك بالناس وبالمكان، وستصاحبني كل صباح، وبعد الظهيرة، وفي المساء"

مثلت الثقة بأبناء الملجأ دافعا للاعتماد عليهم في تدريب غيرهم على أنظمة الدار وقواعدها، فكانوا هم الآداة التي تربي، مثلما كانوا من قبل هدفا للتربية.

ثانيا: التوجهات الصهيونية في الرواية

قبل الحديث عن التوجهات الصهيونية في الرواية تم عرض المضامين الإنسانية العامة، المحفزة للطفل على العمل والأمل، والمبرزة لدور التربية في صياغة الشخصية، وكذا المعبرة عن القيم المجسدة في عدد من الشخصيات لإبراز القدوة والمثل ، إلا أن الكاتبة أبت إلا أن تبث سموم عنصريتها المقيتة في صفحات الرواية، وتعبر عن توجه صهيوني فج تحاول إقحام شخصية "كورتشاك" التي وظفتها بعناية للتأكيد على تلك التوجهات الصهيونية وتوجيه فكر الطفل إليها، وهي تعمل بذلك على تلقين الكراهية للأطفال بدلا من الهدف المعلن للرواية والرسالة التي أدعت أنها تريد توصيلها من خلالها، فهي حين سُألت إن كانت تخشى أن توصف الرواية ضمن (أدب النكبة) على حد تعبير السائل، أجابت أن هذا ليس ببعيد،

ولكنها لا تريد ذلك[١٣٦] ، ويبدو أنها قصدت ذلك بشدة وأوضحته بجلاء من خلال عدد من المحاولات التي سيطرحها البحث في مبحثه هذا للحديث عن التوجهات الصهيونية التي تملأ صفحات الرواية.

كان أول ذكر لكلمة (إسرائيل) في الرواية في الفقرة التالية بعد ثمانية وثلاثين صفحة بالضبط، وكان ذكرها من خلال سؤال تعجبي عن علاقة الطبيب اليهودي البولندي "كورتشاك" بإسرائيل، وقد جاء هذا التساؤل على لسان "يانيك" الطفل بطل الرواية:

"לא ידעתי על מה הוא מדבר – איזה בית יתומים שני, איך הדוקטור קשור לרדיו, מה זה אומר (ביקורי בית) ואיך ארץ ישראל קשורה לדוקטור?" [١٣٧]

" لم أكن أعلم عما يتحدث؟ وعن أية دار أيتام أخرى، وكيف يكون للطبيب علاقة بالإذاعة، وما معنى "زيارات منزلية"، وما علاقة إسرائيل بالطبيب؟"

حين قال "يوسيك" لـ "يانيك" أن الطبيب ربما في الإذاعة يسألونه عن إسرائيل أو في زيارات منزلية أو في داره الأخرى للأيتام في بولندا، وهو لم يكن على علم تام بكل هذه الأمور، بل كانت فطرة الأطفال السليمة تدفعه للتساؤل عن علاقة البولندي بإسرائيل أيا كانت ديانته، وكانت هذه الفقرة من الرواية حجة على الأديبة على ما اعتقد، فقد جعلت الطفل البريء يتساءل بفطرته عن علاقة من الغريب أن تتولد بين البولندي الحق وبين بلد أخرى غير وطنه، هذا الأمر الذي ناقضت فيه الكاتبة نفسها في نهاية روايتها لتجعل من الهجرة لفلسطين اختيارا أمثل.

تقوم الكاتبة بمحاولات واضحة للتأثير في موقف القراء من خلال وصم (بولندا) وأهلها بالعنصرية ضد اليهود متبعة في ذلك منهج الصهاينة من التأثير في عقول اليهود ووجدانهم، واختلاق المبررات للهجرة، والتأكيد على سوء أحوال من لم يهاجر، وكم عانى وتحمل بسبب سوء اختياره، فتدير في روايتها حوارا بين الأطفال حول برنامج إذاعي للطبيب "كورتشاك" تحت مسمى (الطبيب العجوز)، فتقول على لسان "يانيك" بطل الرواية:

"שאלתי את יוסק למה קוראים לתוכנית (הדוקטור הזקן), ולא אומרים– לא בהתחלה ולא בסוף– מיהו בעצם הדוקטור הזקן.

זה באמת מוזר –חשבה בקול שרה שישבה מולי– הרי הוא מפורסם בכל פוליו, וכל בתי הספר למורים מזמינים אותו לתת הרצאות, ובתי המשפט מבקשים שייעץ להם במשפטים של נוער, וכל העיתונים מבקשים שיכתוב להם על חינוך או יפרסם אצלם את הסיפורים שלו, איך זה שהרדיו לא משוויץ בעובדה שהדוקטור הזקן הוא בעצם הסופר הידוע והמחנך שלנו (יאנוש קורצ'אק)?

יוסק אמר: הדוקטור טוען שהוא אוהב את השם של התוכנית, כי כאן קוראים לו (הדוקטור) והיא גם מרגיש זקן. אבל ... והמשיך: רוזי טענה, כבר בשנה שעברה, שברדיו מעדיפים שלא ידעו שהדוקור הזקן הוא יאנוש קורצ'אק כי כולם יודעים שהוא יהודי." (١٣٨)

"سألت "يوسيك" لماذا يطلقون ... على البرنامج (الطبيب العجوز) وهم لا يقولون سواء في البداية أو النهاية من هو حقا هذا الطبيب العجوز.

وأخذت "سارة" الجالسة أمامي تفكر بصوت قائلة: "هذا حقا غريب، إنه مشهور في بولندا كلها، وكل مدارس المعلمين تدعوه لإلقاء محاضرات، وتسأله المحاكم المشورة في قضايا الشبان، وترغب الصحف كافة أن يكتب لها عن التعليم أو ينشر لديها قصصه، كيف لا تتفاخر الإذاعة بحقيقة أن هذا الطبيب العجوز هو ذاته أديبنا ومعلمنا (يانوش كورتشاك)؟

قال "يوسيك": "يدعي الطبيب أنه يحب اسم البرنامج، فهنا يدعونه بالطبيب، وهو يحس أنه عجوز، ولكن ..." ... ثم واصل قائلا: "أدعت "روزي" في السنة الماضية كانوا يفضلون في الإذاعة ألا يعرفوا أن الطبيب العجوز هو (يانوش كورتشاك) لأن الجميع يعرف أنه يهودي."

لا يخفى التناقض في هذا الحوار، فرغم اعتراف الأديبة بكم الاهتمام الذي يحظى به "كورتشاك" في بولندا تكيل الاتهامات لمسئولي الإذاعة مدعية أنهم رفضوا ذكر اسمه لأنه يهودي إشارة إلى مدى التحيز والعنصرية، وهذا رغم ما قالته عن محبة الطبيب لاسم البرنامج، فهي لا تريد الاعتراف بأنه يحظى بحياة كريمة في بلاده التي أحبها وعمل لها ومن أجلها، بل تحاول الإدعاء بأن ردة فعل المجتمع نحوه كانت على النقيض من تفانيه وحبه.

تظهر لنا الكاتبة تحولا في رأي البطل "يانيك"، فبعد أن جعلته في البداية رافضا للاعتراف بعنصرية المجتمع البولندي وكراهيته لليهود، توجه فكره وفكر قراء الرواية إلى ضرورة الاعتراف بهذه العنصرية التي رفض "يانيك" الاعتراف بها في البداية، ثم أقرها في النهاية، فنقرأ:

"שרה אמרה: אני חושבת שכן. השנאה אלינו רק הולכת וגדלה. עוד אחד כמו סטאשק –אמרתי עליה בלב– אבל אחרי כמה ימים נאלצתי להודות שאולי היא צודקת, ואולי גם רוזי, ואולי אפילו סטאשק, אם כי עליו בכלל לא רציתי לחשוב." [١٣٩]

"قالت "سارة": أنا اعتقد أن الأمر كذلك، فالكراهية الموجهة نحونا تتزايد." ، قلت في دخيلة نفسي ها هي واحدة أخرى مثل "ستاشيك"، ولكن بعد عدة أيام اضطررت للاعتراف بأنها ربما تكون صادقة، وربما "روزي" أيضا، وربما "ستاشك"كذلك، على الرغم من أنني لا أريد أن أفكر فيه."

أقر "يانيك" في الفقرة السابقة بصحة تصورات "روزي" و"سارة" زميلتاه في الدار، وكذا تصور "ستاشك"زوج أخته الذي يكرهه، وجعلت الكاتبة بذلك من البطل أداة لإقناع القراء بما حل باليهود من مآسي تسبب فيها المجتمع العنصري الكاره، رغم ما تعرضه في المقابل من نموذج لليهودي المثالي "كورتشاك"، فتبرز لنا قمة الظلم المجتمعي، وتؤكد على ما يسمى بـ (المعاداة للسامية) [١٤٠] أي (المعاداة لليهود)، فتوجه كما هائلا من الاتهامات

للأغيار بداية للإشارة إلى تعرض اليهود للسباب في شوارع بولندا دون أن تسوق مبررا واضحا لذلك:

"**יהודונים מסריחים– צעק מישהו מהם.**

בייליסים לכו מכאן– נשמעה כמה קריאה שבאותו רגע לא הבנתי.

פולין לפולנים– צרח מישהו אחר. זה הכי עיצבן אותי, כי גם אנחנו פולנים. אחר כך נחתו עלינו עוד קללות, בעיקר כאלה שמערבות הורים." (١٤١)

"صاح أحدهم: "يهود أقذار! (١٤٢) "

تردد نداء آخر لم أفهمه في تلك اللحظة: "أيها البيليسيين أرحلوا من هنا."

وصاح أحدهم: "بولندا للبولنديين." كان هذا هو جل ما أثار حفيظتي، فنحن أيضا بولنديون، وبعد ذلك وجهوا نحونا المزيد من السباب، لا سيما تلك التي تزج بالوالدين."

أرى أن الكاتبة في الفقرة السابقة تحاول التأكيد على مدى انتماء اليهود لبولندا فجل ما أثار حفيظة الطفل "يانيك" هي مقولة (بولندا للبولنديين)، رغم ما تحمله هذه الجملة من اتهام مباشر لليهود بأنهم لا ينتمون إلى هذا الوطن، بل واتهام مباشر من الكاتبة للمجتمع بنبذه لليهود وعدم اعترافهم بمواطنتهم في بولندا.

وفي موضع آخر نجد تأكيدا من الكاتبة على المعنى ذاته، بل وإشارتها إلى عدد من الإجراءت القانونية التي قيدت من حرية اليهود، ووصفتها بالعنصرية:

"**חוקים גזעניים חדשים הגבילו מאוד את האפשרות את היהודים לעבוד ולהתפרנס והפכו אותם עניים עוד יותר, גם האנטישמיות גברה, היא עברה בין אנשים כמו מחלה מידבקת, הגזענות הורגשה בכתובות על הקירות, בכותרות העיתונים, במבטי האנשים, במלים שאמרו, במעשים שעשו.**" (١٤٣)

"قيدت بشدة القوانين العنصرية الجديدة إمكانية اليهود للعمل وكسب العيش فاستحالوا أكثر فقرا، تزايد كذلك (العداء للسامية)، وقد انتقل بين البشر كالمرض المعدي، وتجلت العنصرية بشكل محسوس في الكتابات على الجدران، وفي عناوين الصحف، وفي نظرات البشر وفي الكلمات التي تقال، وفي الأفعال التي أنجزت."

جمعت الكاتبة في الفقرة السابقة بين كراهية الشعب البولندي لليهود وكراهية الدولة بمؤسساتها، فهي تضيق بذلك الخناق على أي مدافع، وتجد من المبررات ما يفسر هجر بعضهم لبلادهم، وهجرتهم بعيدا عن الاضطهاد والكراهية، بل وإمعانا في رسم صورة الضحية لليهودي البولندي تؤكد أن من كاد لليهود في شوارع بولندا ليسوا مجموعة من المجرمين أو الخارجين عن القانون، بل إنهم تلاميذ المدارس من المسيحيين الذين ينتمون إلى أسر محترمة متعلمة، فنقرأ:

"בעיתון אחד אמרו שהמציקים הם לא ילדי רחוב או עבריינים אלימים, אלא דווקא (ילדים טובים), תלמידי בית ספר, שלפעמים מגיעים להרביץ לנו מיד אחרי שיצאנו מדרשה בכנסייה." (١٤٤)

"وكانوا يقولون في إحدى الصحف أن المشاغبين ليسوا أطفال شوارع أو ... إرهابيين خارجين عن القانون ولكنهم مجرد (أطفال مهذبين) وتلاميذ المدارس هم أحيانا من يجيئون لضربنا فور خروجنا من المدراش في المعبد."

دون أن تسوق مبررا كذلك تؤكد الكاتبة على أن هذا الغبن يقابل من اليهود بالتسامح، فنجد إحدى أبناء الملجأ من اليهود ويدعى "ايتشو" يستاء لما يتلقى من إهانات وسباب وضربات، بينما يضطره "كورتشاك" إلى التصرف بلباقة وعدم رد الإساءة بمثلها، فإذا به يقول لـ "كورتشاك" غاضبا:

"אז אתה תבקש מהם יפה לא לשנוא אותנו. והם פשוט יסכימו?! שאל איצ'ו. הוא כל כך כעס שדרשו ממנו להתאפק בימי ראשון ולספוג בשקט את העלבונות והיריקות וכדורי השלג הצורבים." (١٤٥)

"سأل "ايتشو": "إذن أنت سوف تطلب منهم بود ألا يكرهوننا، وسوف يوافقون ببساطة؟!" لقد كان غاضبا جدا لأنهم طلبوا منه أن يتمالك نفسه في أيام الأحد، وأن يتلقى بهدوء الاهانات والبصاق وكرات الثلج الحارقة."

جعلت الكاتبة كذلك من قصة "بيلييس" الذي يُعير اليهود به لقتله أحد المسيحيين في عيد الفصح حجة على بولندا والبولنديين، بل وجعلت منه البرئ المغبون، وجعلت من الدولة بكل مؤسساتها الظُلام المتآمرين، كما حولت الشعب إلى جماعة من المتعصبين العميان[١٤٦]، فتحكي قصة "بيلييس" بسيناريو جديد:

"וזה הסיפור: מנחם מנדל ביילים, יהודי שעבד במפעל קטן לייצור לבנים, נאשם ברצח נער נוצרי, לנער קראו אנדריי. שמונה ימים אחרי שנעלם אנדריי מבית אמו, מצאו אותו מת במערה ליד המפעל הקטן, וסימני דקירות על גופתו. המשטרה והתביעה טענו שבייליס השתמש בדם של אנדריי כדי להכין מצות של פסח.

בירש סיפר לי שבחקירה שנערכה שנים אחרי המשפט התברר שחוקרי המשטרה גילו מהר מאוד מי באמת רצח את הנער אבל קיבלו הוראה מגבוה למצוא- או נכון יותר להמציא- עדויות שמאשימות את ביילים, בכירים בממשלה הרוסית, כולל שרים אפילו הצאר ואנשיו, התערבו במשפט, כדי להוכיח שבייליס רצח את אנדריי לצורכי פולחן יהודי. האשימו את ביילים שדקר את אנדריי כמה וכמה פעמים כדי להקיז דם מגופו, ושהוא עשה זאת כשהנער עוד היה חי. זה אומר שאנדריי מת בייסורים קשים."[١٤٧]

"هذه هي الحكاية: (مناحم منديل بيبليس) هو يهودي يعمل في مصنع صغير لإنتاج الملابس الداخلية، اتهم بقتل شاب مسيحي، ويدعى هذا الشاب "أندريه"، بعد ثمانية أيام من اختفاء "أندريه" من بيت أمه، وجدوه ميتا في غابة بجوار المصنع الصغير، وعلى جثته

آثار طعنات، أدعت الشرطة والنيابة أن "بييليس" استخدم دم "أندريه" في إعداد فطائر عيد الفصح.

حكى لي "هيرش" أنه في التحقيق الذي أجري بعد سنوات من المحاكمة اتضح أن المباحث قد كشفت بسرعة فائقة عن حقيقة من قتل الشاب ، إذ تلقوا تعليمات من أعلى للتفتيش _أو بدقة أكبر العثور على_ أدلة تتهم "بييليس"، وأن مسئولين كبار في الحكومة الروسية، من بينهم وزراء وحتى القيصر وحاشيته قد تدخلوا في المحاكمة من أجل إثبات أن "بييليس" قتل "أندريه" لأغراض العقيدة اليهودية. اتهموا "بييليس" أنه طعن "أندريه" عدة مرات حتى ينزف دما من جسده، وأنه فعل ذلك والشاب لا يزال حيا، وهذا يعني أن "أندريه" مات بعد معاناة شديدة."

تركت الكاتبة الشعب، لتلتف باتهاماتها حول أعناق السلطة الحاكمة متهمة إياها أنها تحيك مؤامرة ضد اليهود بالذات، ثم تناقض نفسها ربما عن غير قصد لتؤكد أن هذا يتم مع اليهود وغيرهم:

"קל לשלטון להסיט את תשומת לבם של האנשים מצרות שהוא עצמו אשם בהם – או שהוא אמור לפתור – לאחד אותם סביב שנאת זרים, יהודים או אחרים. זה מה שקורה עכשיו בגרמניה. למעשה, זה גם מה שקרה פה, בפולין." (١٤٨)

"من اليسير على السلطة الحاكمة أن تصرف انتباه الجماهير عن المصائب التي تعد هي ذاتها متهمة فيها _أو تلك التي من شأنهم أن يتغلبوا عليها_ كي توحدهم حول كراهية الغرباء، اليهود أو غيرهم، هذا ما يحدث الآن في ألمانيا، وهذا ما يحدث بالفعل هنا في بولندا."

وتصور لنا الكاتبة فشل جوانب المؤامرة، مع الكشف عن المتهم الحقيقي على لسان المحامي اليهودي المتابع للقضية الذي كان "يانيك" يجري معه حوارا صحفيا:

"הירש המשיך וסיפר שבסופו של דבר (המומחים) מטעם התביעה – אנשי מדע ודת– לא הצליחו להוכיח שהרצח נעשה מסיבות דתיות ושבתלמוד כתוב שהמתכון של מצות לפסח כולל דם נוצרי. ביליס זוכה, גם בזכות עתונאי אחד שערך תחקיר ופירסם מי רצח את הנער אנדריי: אמא של זניה, החבר שלו. היא היתה חברה בכנופיית פושעים. התברר שביום הרצח שני הנערים רבו, זניה אמר שיגלה שאנדריי ברח מבית הספר, ואנדריי איים שיספר שאצל אמא של זניה יש סחורות גנובות, אחר כך הם השלימו. אבל כשזניה סיפר לאמו על הריב, היא רצה שימציא סיבה שתשכנע את אנדריי לבוא אליהם הביתה. ומיד. כנראה לא היה קשה לשכנע אנדריי, כי הוא בא בקלות, ובטח לא חשד שמשהו נורא עומד לקרות לו. הוא היה בן בית שם. שני החברים הגיעו אל הבית, אבל אמא לזניה לא נתנה לבנה להיכנס, היא הכניסה לבית רק את אנדריי, ושם הרגו אותו." [١٤٩]

"واصل "هيرش" وروى أنه في نهاية الأمر لم ينجح المتخصصون من العلماء ورجال الدين، والذين تم استدعائهم للدعوى في إثبات أن القتل تم لأسباب دينية، وأنه مكتوب في التلمود أن مكون فطائر الفصح يشتمل على دم مسيحي[١٥٠] ، وبُريء "بييليس" أيضا بفضل أحد الصحفيين، الذي فتح تحقيقا، ونشر من قتل الشاب "أندريه" وهي والدة زميله (زنيا)، إذ كانت عضو في عصابة إجرامية، واتضح أنه في يوم الجريمة تنازع الشابان، وقال (زنيا) أنه سوف يفضح أمر هروب "أندريه" من المدرسة، وهدد "أندريه" أنه سوف يروي عن وجود بضائع مسروقة عند والدة (زنيا)، وهكذا انتهى أمرهم، ولكن عندما أخبر (زنيا) أمه عن المشاجرة، طلبت أن يجد سببا يقنع به "أندريه" للحضور لديهم في البيت، وعلى الفور، وعلى ما يبدو لم يكن صعبا إقناع "أندريه"، وحتما لم يرتاب في أن شيئا رهيبا من المقرر أن

يحدث له، فقد كان هناك صاحب بيت، ووصل الصديقان إلى البيت، ولكن أم (زنيا) لم تسمح لابنها بالدخول، وأدخلت "أندريه" فقط إلى البيت، وهناك قتلوه."

أرى أن الرواية السابقة حملت الكثير من المغالطات، حين أنكرت وجود هذه الدعاوى الوحشية في التلمود، كما أنها وجهت قذفا في حق الشعب البولندي، وجعلت منهم مجموعة من البلطجية وأفراد العصابات، فهم في نظرها لا يفهمون إلا لغة العنف.

إن الكاتبة كذلك جعلت "يانيك" يتشكك _ من فرط الظلم الواقع على اليهود_ في إمكانية براءة أبيه من السرقة، وأن هذه القضية قد لفقت له كما كان يقول:

"אני לא זוכר הרבה משתי משתי הפגישות עם אבא שלי, כי הייתי ממש קטן, אבל אני זוכר שאמר למירה ולי ש(תפרו לו תיק)" [١٥١]

"لم أكن أتذكر الكثير عن المقابلتان اللتان جمعتا بيني وبين أبي، فقد كنت حقا صغيرا، ولكنني أذكر أنه قال لي ولـ "ميرا" أنهم لفقوا له قضية."

تُجرد الكاتبة كما اتضح من الفقرات السابقة اليهود من أية ميول عنصرية، أو أية صفات إجرامية، بل وتصبغهم بصبغة الضحية، وتسحب صفة العنصرية والظلم على كثير من الأمم وليس على بولندا وأهلها وحكامها فقط، فتقحم (هتلر) في حديثها وتؤكد على موقفه العنصري من أحد الفائزين الزنوج في الأولمبياد التي أقيمت في ألمانيا، وهي بذلك تؤكد على أن العنصرية صفة أصيلة فيه لا تقتصر على اضطهاده لليهود فحسب، فنقرأ:

"התלר יצא מהאצטדיון כדי לא ללחוץ את היד למנצח השחור. כמו שראה בנו היהודים גזע נחות, כך ראה גם בשחורים. הוא קיווה שהאולימביאדה תוכיח את עוליונות הגזע הארי, אבל הספורטאים השחורים נצחו את הגרמנים שוב ושוב ושוב." [١٥٢]

"خرج (هتلر) من الاستوديو حتى لا يصافح يد الفائز الأسود، كما كان يرى أن أبناء اليهود من نسل دني، فهو يرى ذلك أيضا في الزنوج، كان يتمنى أن تثبت الأوليمبياد تفوق الجنس الآري، لكن الرياضيون الزنوج فازوا على الألمان مرات ومرات ومرات."

ولعل الكاتبة قد اعترفت في الفقرة السابقة عن دون قصد وعلى عكس ما تدعي أن العنصرية والتمييز ليست موجهة ضد اليهود وحدهم، بل قد توجه كسلاح ضد الآخرين، فاليهود وحدهم ليسوا محط اضطهاد العالم بلا مبرر أو تفسير.

أغفلت الكاتبة تماما الإشارة إلى أنهم كانوا أصدقاء أمناء لعدد ممن نعتوهم بالقسوة والوحشية، وكذا بالعنصرية والتعصب، فقد تحالف الصهاينة اليهود مع النازي، ومدوا له يد العون للإفادة من عنفه وعدوانه في تهجير أعداد أكبر من اليهود إلى فلسطين[١٥٣] .

لم تتوان الكاتبة عن الزج بالطبيب "كورتشاك" لاستخدامه كسلاح لإدارة حربها ضد الأغيار، والتدليل من خلاله على مدى الظلم الذي يلاقيه اليهود في بولندا، بل أنها وضعت على لسانه عبارات لم يقلها، وعبرت عنه بدلا منه، وسولت لنفسها أن تجعله من مؤيدي الصهيونية، ومن الداعمين للهجرة، فتقول أنه نصح "يانيك" بأن يهاجر إلى فلسطين، وأكد له أن هذا الأمر هو الخيار السليم، فقد جاء على لسان "يانيك":

"סיפרתי לו שלאחותי יש אשרות כניסה לארץ ישראל. גם בשבילי, הוא הזמין אותי לשבת על הספה הקטנה והתישב מולי בגבו לשולחן הכתיבה. הוא אמר: פעם לא חשבתי היא בפתרון לצרות של העם היהודי, אני פולני, כל כולי פולני. עכשיו אני חושב שזה כן המקום בשבילינו, כאן אין לנו עתיד, בצער אני אומר שגם אני צריך לעקור את עצמי מכאן ולהגר לשם. אולי אזדקן לי בירושלים, אכתוב על גיבורי התנ"ך למשל על משה ודוד ושאול כשהם היו ילדים.

אז למה אתה לא עושה את זה– שאלתי.

אולי כי אני זקן מדי בשביל להתחיל מחדש, בסביבה שונה כל כך, בלי השפה שלי, אולי כי אני לא יכול לעזוב מאה ושבעה ילדים... יתכן בכל זאת אהגר, עם כל הילדים, תוך שנה או שנתיים. נקים בית ליילדים עזובים, יהודים וערבים.

שתקנו קצת ואז הוא אמר: בני עשית בחירה נכונה." [١٥٤]

"حكيت له أن أختي لديها تأشيرات لدخول فلسطين من أجلي أيضا، فدعاني لأجلس على الأريكة الصغيرة، وجلس أمامي وظهره إلى المكتب، وقال: "لم أفكر ولو لمرة أن فلسطين هي الحل لمشاكل (الشعب اليهودي)، فأنا بولندي، بكل كياني بولندي، أما الآن فأنا اعتقد أن ذلك حقا هو مكاننا، فليس لنا مستقبل هنا، وللأسف أقول أنني أيضا عليَّ أن اقتلع نفسي من هنا وأهاجر إلى هناك، ربما أشيخ في القدس، وأكتب عن أبطال العهد القديم، عن موسى وداود وشاؤول على سبيل المثال، عندما كانوا أطفالا."

سألت: فلماذا لا تفعل ذلك؟

ربما لأني هرمت بما فيه الكفاية على أن أبدأ من جديد، في محيط جديد تماما، بدون لغتي، أو ربما لأني لن استطيع أن أترك ١٠٧ من الأطفال، ربما أهاجر رغم كل ذلك مع جميع الأطفال خلال سنة أو سنتين، ونقيم دارا للأطفال المنبوذين من اليهود والعرب[١٥٥].

صمتنا قليلا وحين ذلك قال: "يا ابني لقد اخترت الاختيار السليم."

أكد النقاد إن المحور الرئيسي الذي ميز أدب الطفل العبري الحديث هو التأكيد على حقهم التاريخي المزعوم في فلسطين ،بل على قدسية ترابها، وهذا أيضا ما يبث في مناهجهم التعليمية في إسرائيل. [١٥٦]

وعودة إلى موضوع الرواية فقد أقرت الكاتبة في خاتمة روايتها أن الطبيب لم يدل بأية حوارات صحفية لأنه لم يرد أن يتحدث عن نفسه، كما أنه لم يهاجر فعليا إلى فلسطين وظل في بولندا حتى لفظ أنفاسه الأخيرة، ولم يؤيد يوما الصهيونية، وكانت توجهاته دائما في خدمة الإنسانية، وفي صالح المستضعفين من الأطفال، إلا أنها تقول على لسانه عبارات أرادت هي أن تقولها، وأحبت أن تضعها على لسان طبيب معلم مثل "كورتشاك" لتجد تأييدا لآرائها هي وما تعتنقه من فكر، بل ولتؤثر به على جيل كامل من الأطفال الذين حتما سيتعلقون به وبآرائه خاصة بعد عرضها الشيق لصفاته وفعاله.

وها هي تؤكد في إحدى فقرات روايتها أن الطبيب لم يجر حوارا صحفيا قط، فنقرأ على لسان بطل روايتها:

"חשבתי שהחלום שלי עומד סוף סוף להתגשם, אלא שהדוקטור סירב להתראיין, סיפרתי לא שאם אגיש ראיון איתו, לא רק שהבתבה תקבל את העמוד הראשון והשני ואולי תפורסם גם בעיתון למבוגרים, אלא שאהפוך לכתב קבוע! הוא חייך: הייתי רוצה לשמח אותך, לתת לך מתנה כזאת. אבל לא נוח לי להיות מרואיין. אני לא אוהב לדבר עצמי."[١٥٧]

"تصورت أن حلمي من شأنه أن يتحقق أخيرا، إلا أن الطبيب رفض إجراء حديث صحفي، رويت له أنني إن أجريت حوارا صحفيا معه فإن المقالة لن تتصدر العمود الأول والثاني فقط، بل وربما تنشر في صحيفة الكبار، وأيضا سأكون صحفيا مثبتا! تبسم قائلا: "كنت أريد أن أسعدك، وأن أهبك هدية كهذه، ولكن لا يريحني أن أجري حديثا صحفيا، فأنا آسف لأنني لا أحب أن أتحدث عن نفسي."

اعترفت الكاتبة كذلك في الخاتمة الملحقة بروايتها أن شخصية "يانيك" ليست بالشخصية الحقيقية، وأن ما دار من أحداث الرواية هو مجرد حكايات من واقع خيالها تماما، إذن فإن خيالها هو الذي أراد أن يؤيد "كورتشاك" الهجرة إلى فلسطين، وأراده أن يصدق على اختيار "يانيك" بترك بولندا والهجرة، وأراد أن يحمله ما لم يقل أو يفعل من رغبة شخصية لديه للسفر إلى فلسطين والبقاء فيها.

حتى لا نبتر الفكرة بعرضنا لجانب واحد من جوانبها كان لزاما تحليل ما أوردته الكاتبة والإشارة إلى أنها ميزت بين الطفل اليهودي والطفل من الأغيار في نقاط عدة:

١- يعرض الطفل اليهودي على أنه الضحية التي تتلقى الإهانات والضربات، بينما نجد أطفال الأغيار يوصفون كأنهم الجناة المعتدون.

٢- تقدم الكاتبة الطفل اليهودي في صورة المتحضر الذي لا يرد الإهانة بمثلها، بينما تقدم الآخرون في صورة الهمج البربريين.

٣- ترد صورة الطفل اليهودي على أنه صاحب الموهبة المميز، الذي يبحث وينقب، ويصل للمعلومة بحياد وتدقيق، بينما ترد صورة الطفل من الأغيار على أنه الصفيق من أرباب العصابات، كما أن أطفال المدارس كذلك يوصفون لدى الكاتبة بالصفة ذاتها، فإنهم يهاجمون ويلعنون ويعتدون.

٤- نجد الطفل اليهودي في صورة المتهم دائما من قبل غير اليهود الذين يشيرون إليه غالبا بإصبع الاتهام على ما لم يرتكب من ذنب.

٥- يصور الطفل اليهودي في هيئة المحب لوطنه المجبر على يد غير اليهود على تركه والهجرة.

٦- تصاغ شخصية الطفل اليهودي في الرواية في صورة الفقير الذي يعاني الشقاء لأسباب عدة من نبذ المجتمع له، ورغم ذلك يجاهد العوز والألم ويحقق المستحيل، بينما تصاغ شخصية الطفل من الأغيار في صورة المدلل الأناني اللامبالي.

٧- دعمت الكاتبة _وفق ما سبق_ فكرة الانتقام[١٥٨] في وجدان الطفل اليهودي ليس فقط ناحية نظيره غير اليهودي، بل تجاه العالم المضطهد لطفولته كما تحاول أن ترسخ من مفاهيم.

٨- روجت الكاتبة لفكرة "المعاداة لليهود" التي يستخدمون لها المصطلح المرفوض علميا "العداء للسامية"[١٥٩] من خلال هذه التفرقة بين الأطفال اليهود ويهود العالم لا سيما يهود بولندا.

٩- جمعت الكاتبة بين توجيه فكر الطفل نحو كراهية المكان والبشر، فجعلت من بولندا أرض العذاب لأطفالها من اليهود، وجعلت من أطفالها من غير اليهود آداة للتعذيب لتجمع في مشهد واحد بين الحال والمحل من ناحية وبين قاطنيه من ناحية أخرى.

١٠- صدقت الكاتبة بعرضها هذا على ما يبث في مناهجهم التربوية في إسرائيل[١٦٠] من ترويج لكراهية الآخر، وتدعيم للحق التاريخي لليهود في فلسطين.

تجدر الإشارة في ختام حديثنا عن التوجهات الصهيونية في الرواية إلى محاولة الكاتبة عدم تناول الأحداث النازية بتفاصيلها داخل متن الرواية، والوقوف بالزمن قبل دخول النازي إلى بولندا بشهرين ـ كما أشارت في ملحق روايتها ـ وذلك على الرغم من أن "كورتشاك" كان مادة خصبة للتباكي والنواح نتيجة موته في أحد معسكرات الاعتقال في بولندا بعد أن حكمها النازي، إلا أنها أبت إلا أن تصم المجتمع البولندي بأكمله كبارا وصغارا بالعنصرية، وتقلل من وطأة الحديث عن ألمانيا واتهامها، وذلك من خلال توجه جديد ظهر حديثا بعد قيام الدولة بتخفيف حدة الحديث عن النازية، والتماس المبررات للألمان بعد حصول اليهود على تعويضات ضخمة من ألمانيا[١٦١].

المبحث الثاني: رواية (אני לא גנב أنا لست لصا) دراسة في الشكل

أولا: العناصر اللغوية والأسلوبية

١- اللغة الموحية

" هناك إحساس بالمتعة تهبنا إياه الأعمال الأدبية ، ولكن هل الأدب يبعث في نفوسنا هذين الشعورين دائما ، ألا تدفعنا الأعمال الأدبية إلي الحزن والغضب والألم في بعض الأحيان ؟ هذا صحيح ، ولكن المتعة التي نحسها نابعة من كون الأديب قد سما بنا من تلك الذروة التي بدت لنا منها الظواهر المثيرة للحزن والغضب والألم مثيرة حقا لتلك المشاعر ، ومن خلال إدراكنا لتلك المشاعر نتحلى بأفكار ومثل سامية ، وهذه هي حقيقة المتعة التي يهبنا الفن إياها ، وهذه هي قيمته الجمالية التي نستمتع بها . "[١٦٢]

تتسم لغة الرواية باستخدام الألفاظ الموحية بالكآبة والألم وخيبات الأمل، ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك ما جاء في الفقرة التالية معبرا عن شعور الطفل "يانيك" بعد أن خاب أمله في علاج قدمه الكسيحة، وعلم أن حلمه في العدو أصبح هشيما تذروه الرياح، فنقرأ ما جال في خاطره:

"מה חשבתי? שאני יכול לרוץ? שאין לי עיגול אפור עקום בתוך לעצם?" (١٦٣)

"ماذا كنت أظن؟ أنني سأتمكن من العدو؟ وأنه لا يوجد لدي دائرة داكنة مشوهة داخل العظم؟

إن هذه الفقرة توحي بمنتهى الحسرة واليأس، فإن "يانيك" يلوم نفسه على أمله في أن يعود لسابق عهده من التمكن من العدو، ويصف ما أصاب ساقه تماما كما جاء في الأشعة من صورة لدائرة داكنة غريبة الشكل تستقر وسط عظامه.

قليلا ما استخدمت الكاتبة على لسان بطلها لفظة (מקלט) أو لفظة (מחסה) بمعنى ملجأ للدلالة على دار أيتام "كورتشاك"، بل أبدلتهما بلفظة (בית) بمعنى بيت أو دار، ونجد في الفقرة اللاحقة تأكيدا من بطل الرواية على أن هذا المكان لا يشبه ما كان يطلق عليه لفظ (ملجأ)، الأمر الذي يوحي بتفرده واختلافه:

"זה לא דומה למקלט. האוכל, המיטה, הסדינים, הדוקטור, גברת סטפה, יוסק, האמבטיה– הכל שונה ואפילו הרבה יותר טוב." (١٦٤)

"إنه لا يشبه الملجأ، لا الطعام، ولا الفراش، ولا المفروشات، ولا الدكتور، ولا السيدة "ستيفا"، ولا "يوسيك"، ولا الحمام، كل شيء مختلف، بل وأفضل بكثير."

توحي لنا الأديبة بمدى براعة الفتى "يانيك" في الكتابة الصحفية من خلال الدلالة على ذلك عبر حديث "كورتشاك" عن رأي المحامي فيه، هذا المحامي الذي أجرى معه "يانيك" حوارا صحفيا، وقد أشارت الفقرة التالية أن لا أحد يُقدر مثل هذه القدرة الصحفية المتميزة مثل محامي عمل في العديد من القضايا وخبر الحياة بأفراحها وأتراحها:

"הוא הבין איזה מין עתונאי אתה הוא קלט שאתה רוצה לדעת עוד ועוד, שאתה רוצה להעמיק, שחשוב לך לראות את כל התמונה. עורך דין יכוך להעריך תכונה של חוקר.

בתוכי זרחתי מגאווה." (١٦٥)

"لقد أدرك أي نوع من الصحفيين أنت، أدرك أنك تريد أن تعرف المزيد والمزيد، وأنك تريد أن تتعمق، وأنه مهم بالنسبة لك أن ترى الصورة كاملة، فإن المحامي يمكنه أن يقدر سمة المحقق."

أضاءت نفسي من الفخر"

كما استخدمت اللغة الموحية في الفقرة السابقة من خلال التعبير عن شدة فخر "يانيك" بهذا الإطراء إلى الحد الذي قالت فيه الكاتبة واصفة لمقدار هذا الإحساس بالفخر: (أضاءت نفسي من الفخر)، وكأن الفخر كالضوء الذي سرى في جسده فأنار روحه بالكامل.

ولعل من أبرع الألفاظ التي أوحت بشدة فخر الطبيب بـ "يانيك" هو وصفه إياه بأنه ابنه: "**בן אני גאה בך**." (١٦٦)

"أنا فخور بك يا بني."

جمعت هذه الفقرة وسابقتها بين فخر "يانيك" بنفسه، وفخر الغير به، وهذا يوحي بمدى التغير الذي طرأ على شخص "يانيك" من قمة الشعور بالاغتراب إلى قمة الإحساس بالذات والثقة بها.

٢- عتبات النص

يدخل (العنوان ودلالته) ضمن العتبات النصية الداخلية المحيطة ، وهذه العتبة النصية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالكاتبة، وما تريد التأكيد عليه وتوجيه فكر القارئ إلى أهميته(١٦٧) ، ولعل العنوان (**אני לא גנב** أنا لست لصا) به إشارة عميقة لما تدور حوله الرواية من أن الطفل ليس مجرما، رغم ما أطلق عليه من لقب يرفضه هو، كما يرفضه خبراء التربية التي أوردت الكاتبة لأحدهم مقولة اشتهر بها في ورقة إهداء الرواية، التي تعد هي الأخرى عتبة نصية مكملة لدلالة العنوان، وهي مقولة كورتشاك الشهيرة: "**אין ילד רע, יש ילד שרע לו**

יאנוש קורצ'אק

הספר מוקדש לזכרו"(١٦٨)

"لا يوجد طفل سيء، ولكن يوجد طفل أُسيء إليه ... يانوش كورتشاك (الكتاب مخصص لذكراه)"

ركز العنوان على السرقة بالذات لدى "يانيك" لأنه الانحراف السلوكي البارز لديه والذي نجح بإرادته في تخطيه، ليستطيع أن يقول بملء فيه أنا لست لصا، كما أن تغلبه على هذا الداء العضال يعني قدرته على تخطي ما يتسم به من عدوانية وعنف ومشاعر اغترابية، فإن ذلك يمثل دافعا للتغلب على عيوبه كافة.

إن كل عتبة نصية استخدمتها الكاتبة قصدت بها الإشارة إلى مغزى العمل، والذي تمثل في انقلاب حال الطفل من الإحساس بالدونية إلى الإحساس بالتميز، إذ رفض صفة اللص بإرادة حرة، وترك السرقة بعزم واختيار، وكان هذا مصداقا لما قاله التربوي الشهير "كورتشاك"، بل يعد كذلك مصداقا لما فعله تجاه هذا الطفل ليتحول من سيء الفعل إلى حسن التصرف، كما تشمل عتبات النص كذلك صورة الغلاف التي تصور طفلا يعدو فرحا نشوانا بعد أن انتفت مشاعره الاغترابية وبدأ يبصر حلاوة الحياة.

يؤكد أحد النقاد أهمية الغلاف بقوله: "يعد غلاف الرواية عتبة أساسية للدخول الى النص ، ويشكل موجها مهما لا يمكن للقارئ أن يتجاهله ، لما له من دلالة تساهم في توجيه

توقع القارىء ورسم أفق انتظاره، ولا ينبغي القراءة في النص مباشرة قبل الولوج الى النصوص المصاحبة للنص الأدبي أو النظر فيها." (١٦٩)

٣- الأسلوب الساخر

استخدمت الكاتبة النادرة والنكتة والموقف الطريف ربما لتخفيف وطأة الشجن في رواية من المفترض أنها تنتمي لأدب الطفل، فنجد هذا الموقف الطريف الذي جمع بين "يانيك" و"ايتشو" في أول حوار بينهما، فقد رآه "ايتشو" يقرأ في أحد الصحف، فطلب منه ورقة من هذه الصحيفة، فدار هذا الحوار:

"נתתי לו את עמוד מודעות האבל. איצ'ו הסתכל על הריבועים ושמות המתים הכתובים בתוכם ושאל בשביל מה זה.

להודיע על מי מת.

לא נעים לעשות מהמתים מטוס- אמר, והאצבעות עבות אך זריזות קיפל את הנייר עוד ועוד עד שהפך אותו לשושנה." (١٧٠)

"أعطيته صفحة إعلانات النعي، نظر "ايتشو" على المربعات وأسماء الأموات المسجلة في داخلهم وسأل: "من أجل ماذا هذا الشيء؟

للتعريف بمن مات

قال: "ألن يكون لطيفا أن نصنع من الأموات طائرة؟" وبأصابع غليظة ولكنها سريعة ثنى الورقة هكذا وهكذا وهكذا حتى تحولت إلى سوسنة."

يظهر الموقف الساخر هنا في تحويل ورقة النعي إلى مجسم لزهرة تنبض بالحياة، وتحويل النهاية الحزينة إلى فصل جديد سعيد من الأمل والتفاؤل بما تحمله هذه المعاني المتناقضة من سخرية من تقلب الأحوال.

ثم بدأت الكاتبة جولة من السخرية من الشخصيات اللامبالية بنفسية الطفل على لسان "ايتشو" أحد أبناء دار أيتام "كورتشاك"، فهو يسخر من سلوك الممرضة الذي رفضه الطبيب

كذلك، عندما قامت بإلقاء بعض الأحجار التي كان الطفل المريض يلهو بها في المشفى، تلك الحكاية التي كان يرويها "يوسيك" فقاطعه "ايتشو" ساخرا مازحا مقلدا لصوت الممرضة:

"בשלב הזה איצ'ו קטע את יוסק, שם ידיים על המותניים, העווה את השפתיים, והתחיל לצווח כאילו הוא האחות מבית החולים: מה צפיתי שאעשה עם זה, דוקטור גולדשמיט? בית החולים הוא מקום סטרילי. אוסף אתה קורא לזה? בוא אני אגיד לך מה זה היה – אבנים! מדרכות! סלעים! הרים! והחוצפן הזה, במקום להגיד תודה רבה, עוד מתלונן שנקיתי לו את המיטה." (١٧١)

"في هذه المرحلة قاطع "ايتشو" "يوسيك" وهو يضع يده حول جنبيه ويلوي شفتيه، وبدأ يتحدث وكأنه هو الممرضة من المشفى: "ماذا توقعت أن أفعل بها يا دكتور (جولدشميت)؟ إن المشفى مكان معقم، مجموعة! هل تسمي هذه مجموعة؟ سوف أخبرك ما كنهها، إنها حجارة أرصفة! صخور! جبال! فبدلا من أن يقول هذا الشقي شكرا جزيلا يشكو إني نظفت له الفراش."

تعرض الفقرة السابقة لما يدور في نفسية الأطفال من إحساس قوي من عدم تقبل الكبار لهم، ف "ايتشو" يصف ساخرا رد الممرضة على الطبيب، فهي لا تجد عيبا فيما فعلت، ولا تدرك أن هذه الأشياء التي تراها حجارة وركاما تمثل لعبة يلهو بها الطفل وينعم، ولكن الكبار لا يجدون في ذلك منطقا أو وجاهة، فيسخر الكبار من الصغار، بينما يسخر الصغار من الكبار ومنطقهم الذي لا يوافق هواهم وميولهم للعب واللهو والاستمتاع.

تبدو في الفقرة التالية سخرية الأطفال من إحدى الممرضات في المشفى التي لم يظهر عليها أي تعاطف معهم، فبعد أن قدمهم الطبيب بأسمائهم:

"הציג אותנו בשמות שלנו. היא הסתכלה עלינו ולא ידעה מה לומר. (חמודים) פלטה בסוף. הצלם קרץ לי, כי חמודים היה הדבר האחרון שאפשר להגיד עלינו." (١٧٢)

"وقدمنا بأسمائنا، نظرت إلينا كمن لا يعرف ماذا يقول، ثم نطقت أخيرا: "ظرفاء"، غمزني "هتسلم" لأن كلمة ظرفاء كانت هي أقصى ما أمكنها أن تقول."

ويبدو الوصف الساخر في الفقرة التالية ليعبر عن عدم تمكن "يانيك" من رؤية الكثير من الأشياء في حياته، فلم يتمكن من رؤية الطبيعة البكر بكل نباتاتها وحيواناتها، فيقول:

"לא נעים לי להודות שעד לקיץ הראשון שלי בבית של קורצ'אק לא יצאתי מוורשה. לא ראיתי יער או צמחים שגדלים באופן טבעי, לא נשמתי אוויר נקי, לא רחצתי בנהר, לא הלכתי בשדה, ולא פגשתי פרה חוץ מאשר בקציצות על הצלחת, כל הדברים האלה קרו לי ברוז'יצ'קה. היינו שם חודשיים שלמים." (١٧٣)

"لا يروق لي أن اعترف أنه حتى الصيف الأول لي في دار "كورتشاك" لم أكن قد خرجت من (وارسو)، لم أر غابة أو نباتات تنمو بشكل طبيعي،ولم اتنفس هواء نقيا، ولم استحم في النهر، ولم أتمش في الحقل، ولم أقابل بقرة إلا وهي مقطعة لحلقات في الطبق، فكل هذه الأمور حدثت لي في (روزيتشكا)، وبقينا هناك شهرين كاملين."

لعل هذه الفقرة الساخرة خاصة في دعابته "ولم أقابل بقرة إلا وهي مقطعة لحلقات في الطبق" قد عبرت عن أن بداية استمتاع الطفل "يانيك" بالصيف وإجازته كانت في تلك المزرعة الجميلة بهوائها النقي وطبيعتها البضة التي أخذهم إليها "كورتشاك".

٤- الوصف

يعد الوصف إحدى وسائل تقديم الشخصية، ويرتبط الوصف بالتحليل النفسي لشخصيات الرواية، فالوصف الدقيق لعناصر الشخصية يبرز مقوماتها وتفاعلها مع الأحداث، ويساعد في التعرف على سماتها، وما تعبر عنه من توجهات، ويمكننا تقسيم الوصف في الرواية كالآتي:

أ- وصف الشخصيات والأحداث

تقدم الكاتبة لشخصياتها من خلال عقد مقارنة بينها وبين غيرها من الشخصيات في الموقف ذاته، وهي بذلك تجلي أوجه التميز في شخصيات بعينها، وتدلل على اختلافها

وتفردها، فإذا بها تصف الطبيب "كورتشاك" على لسان "يانيك" من خلال مقارنة عقدها الطفل "يانيك" بينه وبين الطاقم الإداري في الملجأ الذي أودع فيه سابقا:

"הדוקטור הוביל אותנו לשולחן, שהיה מכוסה מפה נקייה ועליה כלי אוכל וקנקני שתייה. חמישה ילדים כבר ישבו ליד השולחן, ואנחנו הצטרפנו אליהם, הייתי בטוח שתוך רגע קורצ'אק ילך לחדר אוכל אחר, שמיועד לצוות, כמו שהיה במקלט, אבל הוא נשאר לאכול אתנו." (١٧٤)

"صحبنا الطبيب إلى الطاولة التي كانت مغطاة بمفرش نظيف وعليها أدوات طعام وأباريق للشراب، وجلس خمسة أطفال فقط إلى جوار الطاولة وانضممنا نحن إليهم، كنت واثقا أنه خلال لحظة سيذهب "كورتشاك" إلى غرفة طعام أخرى مخصصة للطاقم، كما كان يحدث في الملجأ، لكنه ظل ليأكل معنا."

وضح من الفقرة السابقة مدى اختلاف الطبيب، ووضح كذلك مدى تميز الطعام، فالطعام المقدم للأطفال لا يقل حلاوة عما يقدم لطاقم الإدارة بالملجأ، إذ تجمعهم كافة حجرة طعام واحدة، وصنوف طعام ثابتة، لاتتغير بتغير العمر أو المكانة.

ربطت لنا الكاتبة كذلك بين الشخصية والحدث، فهذه الصفات الشخصية للطبيب تجلي بوضوح ما هو متوقع من أحداث ومواقف وسلوكيات يبديها الطبيب ناحية الأطفال، وكذا توقظ الأمل في قادم أفضل، كما تبعث شيئا فشيئا التفاؤل في نفس "يانيك" الصغيرة، وتزيل آثار القلق والتوجس، وتفتح بابا للثقة والشعور بالأمان الذي غاب عن "يانيك" وبدا من تشككه الدائم في سلوك من حوله، فنجده في بداية لقائه مع الطبيب لا تغريه صفات الطيبة والحنان البادية على وجهه، فيقول:

"וכמו שמירה אמרה, היו לו עיניים טובות וגם חיוך של מישהו עם לב טוב. זה לא אומר כלום הזכרתי לעצמי. בגלל חיוך נעים ועיניים שמוטות של כלב, יש כאלה שנראים נשמות טהורות, אבל טוב הלב שלהם שקרי ויכול רק להטעות." (١٧٥)

"ومثلما قالت "ميرا" له عينان تشعان بالطيبة، وكذا ابتسامة شخص طيب القلب. ذكرت نفسي أن هذا لا يعني شيئا أبدا، فالابتسامة اللطيفة والعينان المتهدلتان للكلب تظهر أن أرواحهم طاهرة، لكن طيبة قلوبهم مزيفة ومن الممكن أن تخدع."

يستخدم الوصف كذلك للتعريف الدقيق بالشخصيات التي أثرت في نفس "يانيك"، واحتلت جزءا من عقله وتفكيره، وأثرت على سلوكه بالإيجاب، ومن بينهم شخصية صديقه "ايتشو"، فيرد وصفه في الفقرة الآتية على لسان "يانيك":

"איצ'ו היה בגילי וגם היה איתי בכיתה, כי גם אותו השאירו כיתה, הוא היה קצר ומוצק, נראה כמו מתאגרף וגם היה חמום מוח, אבל אבל ידע להצחיק והיה חקיין מעולה. על ההצחקות, וגם על טעויות הכתיב, הוא חטף בלי סוף עונשים וגם מכות על כפות הידיים מהסרגל של המורה, כשזה קרא הוא התנהג כאילו זה לא נוגע לו, חייך, לפעמים אפילו צחק." (١٧٦)

"كان "ايتشو" من نفس سني، وكان معي بالفصل، فقد أعاد هو الآخر سنة دراسية، كان قصيرا وقوي البنيان، كان يبدو كالملاكم ، وكان كذلك صلب الرأس، ولكنه كان يجيد الضحك، وكان مقلدا ممتازا، وبسبب دعاباته، وكذا أخطائه في الكتابة تلقى الكثير من العقوبات، وكذا ضربات على اليد من عصا المدرس، وعندما يحدث ذلك فإنه يتصرف وكأن هذا الأمر لم يؤثر فيه ويبتسم، وأحيانا كان يضحك أيضا."

يبدو أن شخصية "ايتشو" الساخرة قد لاقت قبولا لدى "يانيك" بسبب تميزها بما يفتقده هو من روح التفاؤل، وروح الدعابة، وهو ما مثل جل احتياجه في حياة ملأتها المآسي والعثرات، فقد أكثر من وصف هذه الشخصية، وعبر بسعادة عن سماتها المميزة، فنجده يقول عن "ايتشو":

"הוא התחיל לעשות הצגה אילמת, משך לעצמו את האצבעות, סובב אותן, הכה עליהן בפטיש דמיוני, ועשה פרצופים של כאבים איומים, הוא באמת היה מצחיק." (١٧٧)

"بدأ يقدم عرضا صامتا، بسط أصابعه وحركها وخبط عليها بمطرقة تخيلية، وأبدى ملامح الأوجاع العنيفة، كان حقا مهرجا."

رمزت هذه الشخصية للسعادة التي تمحو الهموم، وتذيب جليد المواجع والآلام، فارتبطت الشخصية بأحداث جديدة تطوق حياة "يانيك" بسياج من السروروالتفاؤل والأمل.

ب- وصف الأماكن

يرى بعض الباحثين أنه " يمكن اعتبار المكان تعبيرا مجازيا يُكنى به عن الشخصية ، فبيت الرجل امتداد لذاته ، إذا وصفته فقد وصفت الرجل . "(١٧٨)

تميز وصف الكاتبة للأماكن بمقارنة تعقدها كذلك بين ملجأ قديم أودع به "يانيك"، وبين دار أيتام "كورتشاك"، لتربط ايجابيات الشخصية الموصوفة بإيجابيات المكان، وتربط كذلك بين سلبيات الشخصيات التي تدير الملجأ وبين سلبيات المكان:

"החנויות היו גדולים, רחבים וארוכים, שמתי לב לזה, אולי כי בבית המחסה החלונות היו צרים, קרובים מאוד לתקרה, לכן תמיד היה שם חשוך, אפילו כשהשמש האירה במלוא העוצמה. כאן, לא רק החלונות היו ארוכים, גם התקרה היתה גבוהה, והצעדים שלנו רעמו בתוך הבנין השקט." (١٧٩)

"كانت النوافذ كبيرة وعريضة وطويلة، لفت ذلك انتباهي ربما لأنه في دار الرعاية كانت النوافذ ضيقة وقريبة جدا من السقف لذلك كان المكان هناك معتما دائما حتى عندما كانت الشمس تشرق بمنتهى القوة، هنا ليس فقط النوافذ طويلة، بل السقف كذلك مرتفع، وكانت خطواتنا يتردد صداها داخل المبنى الهادئ."

ربطت الفقرة بين عنصري الشكل والمضمون، فلا يخفى ما يحمله هذا الوصف للأماكن من رمز واضح إلى إشراق ملجأ كورتشاك في مقابل ظلمة غيره من دور الرعاية التي لا تفقه شيئا عن التربية السليمة، فقد جمعت لنا الكاتبة بين الضوء وإحساس "يانيك" بالأمان، وبين العتمة وإحساسه بالخوف، وتكرر هذا في موضع آخر من الرواية عند وصف "يانيك" للمشفى الذي ذهب إليه لإجراء فحص وأشعة على قدمه، وقد كان يحمل في داخله إحساسا بالخوف والقلق، فقد رأى الظلمة التي ملأت نفسه وانعكس صداها في أرجاء المكان، فيقول:

"בסוף הגענו לחדר המתנה גדול וקצת חשוך עם ספסלים. בקצה – מאחורי שולחן וליד ספריית מדפים עם המון תיקיות נייר– ישבה אחות עם סינר לבן." (١٨٠)

"وصلنا في النهاية إلى غرفة انتظار كبيرة ومظلمة إلى حد ما، وبها مقاعد، وفي الطرف من خلف المنضدة تجلس إلى جوار المكتبة ذات الرفوف التي بها كثير من الملفات الورقية ممرضة ترتدي معطفا أبيض اللون"

تجدر الإشارة هنا أن الحالة النفسية للبطل قد تدخلت في وصفه للمكان، فحالته المزاجية غير المستقرة قد انعكست بوضوح على تصويره للمكان بتفاصيله الكئيبة من ظلمة وجدية وتكدس بالأوراق والملفات.

تعاود الكاتبة المقارنة في وصفها بين إيجابيات دار كورتشاك، وسلبيات الحياة خارج أسواره، فعالم "كورتشاك" المثالي لا يشبهه عالم آخر على وجه الأرض، وهذا في مبالغة واضحة من الكاتبة جاءت على لسان أبناء الملجأ "روزي" و"يوسيك" اللذان سيتركان دار الأيتام ويتخرجان لكبر سنهما:

"רוזי אמרה: דוקטור אנחנו מנהלים פה בית משפט השואף לצדק ולסלחנות, והעונשים כאן הם סעיפים... אבל כשאנחנו מוצאים את האף החוצה אפילו בדרך לבית הספר, אנחנו רואים שהעולם עובד אחרת.

אולי לא מתאים לדבר על זה ליד הקטנים- המשיך יוסק את דבריה- אבל הבוגרים שעוזבים בסוף השנה, יוצאים לעולם שלא דומה למה שקורה פה." (١٨١)

"قالت "روزي": يا دكتور نحن ندير هنا محكمة هدفها العدل والتسامح، والعقوبات هنا مجرد بنود، ولكننا إن وسعنا النطاق نحو الخارج، حتى ولو نحو الطريق إلى المدرسة لوجدنا أن العالم يدار بشكل آخر.

أكمل "يوسيك" حديثها قائلا: ربما لا يبدو مناسبا الحديث عن ذلك أمام الصغار، ولكن الكبار الذين سيغادرون بنهاية السنة سوف يخرجون إلى عالم لا يشبه ما يحدث هنا."

مثل دار الأيتام نسقا متكاملا له إدارته، وأفكاره، وميثاقه، ودستوره، ونظرا لفرط مثاليته فقد جمع بين أفراده في نسق قيمي وثقافي شكل ذاكرتهم الجمعية(١٨٢) ، وسيكون انفصالهم عن هذا المكان خروجا عن النسق العام وانحرافا عن الذاكرة الجماعية إلى عالم جديد يختلف فيه نسق القيم والثقافة، ويحتاج التعامل معه إلى انخراط في نسق قيمي وثقافي جديد أو الانفصال عن المجتمع والاغتراب عنه.

ثانيا: عناصر البناء الروائي

١- الشخصية والحدث

يقسم (يوسف ايفين) في معجمه الشخصيات في فن القص بشكل عام إلى:

١- البطل أو البطل الضد ، وهو بطل للرواية كذلك ولكنه يختلف عن غيره من أبطال الروايات في أنه يتميز بانفصال عن الآخرين ، وعن العالم الخارجي لأسباب نفسية أو اجتماعية لذلك يتقوقع علي نفسه في عالمه الخاص والبطل في الرواية هو الشخصية الرئيسية . (مثل يانيك بطل الرواية الصغير)

٢- الشخصية التي تقابل البطل في القصة وهي شخصية رئيسية كذلك .(مثل كورتشاك وميرا أخت البطل يانيك)

٣- الشخصيات الثانوية .(مثل بقية شخصيات الرواية من أبناء دار الأيتام)

٤- الشخصيات الهامشية ، وتظهر هذه الشخصيات عادة في الرواية ممثلة لطبقة من الطبقات أو لموقف من المواقف الاجتماعية المختلفة ، والهدف من وجود مثل هذه الشخصيات الهامشية هو ملئ أي فراغ في الرواية (مثل رئيس التحرير في الرواية، أو المحامي هيرش الذي أجرى معه يانيك حوارا صحفيا، أو زملاء يانيك في الفصل ومدرسيه ... إلخ). (١٨٣)

استخدمت الكاتبة وسائلا لتقديم الشخصية في الرواية:

١- تقديم الشخصيات عن طريق الوصف، وقد سبق الحديث عن ذلك عند الحديث عن وصف الشخصيات في الرواية.

٢- تقديم الشخصيات بالاسم وأحيانا ما يكون الاسم معبرا يحمل دلالة معينة، فالاسم "يانيك وولف" بطل الرواية الصغير، قد حمل اسمه الثاني معنى "الذئب" للدلالة على ماكان عليه حاله من غلظة وتشرد وقسوة قبل دلوفه إلى دار أيتام "كورتشاك"، إذ ترك حياة الغاب التي كان يحياها وسط المجتمع البولندي الكبيركما تحاول الكاتبة الإشارة، إلى الحياة المثالية في ملجأ كورتشاك للأيتام، كذلك استخدت الكاتبة اسما مثل "روزي" للدلالة على إحدى أجمل فتيات الدار التي تحمل معنى "الزهرة" للتعبير عن الجمال والبهاء، وعرضت الكاتبة لاسم (هتسلم) بمعنى المصور دلالة على حبه للتصوير وطموحه في أن يصبح مصورا في المستقبل، وأوردت الكاتبة كذلك شخصيات حقيقية بأسمائها مثل "كورتشاك" والسيدة "ستيفا"، وكذا "يتسحاق" أحد أبناء الدار الذي تحدثت معه قبل كتابة الرواية_ كما أشارت في ملحق الرواية_ وكان الهدف من ذلك على ما اعتقد هو تجسيد صفاتهم وما عرف عنهم، هذه الصفات التي تتداعى إلى الذهن بمجرد ذكر أسمائهم.

٣- تقديم الشخصية من خلال الجمع بين صفاتها وما تحبه من هوايات، وبين أحداث حياتها وما مرت به، بغرض تقديمها من خلال تحليلها نفسيا واجتماعيا، وإبراز صفاتها، فقد وصلت الكاتبة أحلام البطل الصغير وآماله براحته وصفاء ذهنه، فعبرت عن شخصه

إجمالا وتفصيلا في الفقرة التالية التي جمعت بين شخص "يانيك" وبين أحداث حياته الأكثر أهمية، فإذا بالكاتبة وقد أجملت صورتي الشخصية والحدث في فقرة مبدعة، فقالت على لسان "يانيك":

"כשהייתי רץ הראש שלי היה מתרוקן, המחשבות לא היות מציקות לי, ולא הייתי רב עם עצמי. ולא רק בזמן הריצה, גם אחריה, היה עובר איזה זמן עד שהראש היה מתבלגן לי מחדש. לפעמים כשהייתי מתרכז מאוד במשהו- למשל בעיתון או אפילו בשיעורי בית- הייתי מצליח לרוקן את הראש מכל מחשבה שלא קשורה לעניין, כמעט כמו בריצה."[١٨٤]

"عندما كنت أجري كان رأسي يصفو، لم تكن الأفكار تزعجني، ولم أكن أتصارع مع نفسي، ليس فقط في وقت العدو، بل بعده أيضا، وما كانت رأسي تنشغل من جديد إلا بعد أن يمر وقت طويل، وأحيانا عندما كنت أركز بشدة في شيء ما كالصحيفة أو فروضي المنزلية كنت أنجح في أن أصفي رأسي من أي تفكير بعيد عن الموضوع، كما يحدث أثناء العدو تقريبا."

مثل العدو دواء لأوجاع "يانيك"، وكذا جلاء لذهنه، كما مثلت الكتابة الصحفية هذا الدواء الشافي نفسه، وهذا الصفاء الذهني المحبب لنفس "يانيك"، فحلت الكتابة الصحفية كأمنية أوشكت على التحقق محل حلم "يانيك" الضائع في العدو، وكانت هذه هي شخصية "يانيك" باختصار التي تدور حولها أحداث الرواية، وقد أجملتها الفقرة السابقة في كلمات قليلة موجزة.

بالإضافة إلى شخصية البطل الصغير "يانيك" تبرز شخصية (يانوش كورتشاك) الذي كُتبت الرواية في ذكراه، وكما ذكرنا آنفا، وأوردنا من استشهادات أوضحت صورته التي رسمتها الكاتبة، فإنه هذا المشرق الوجه، طيب العينين، لين الطباع، حلو الحديث، الذي يسكن قلوب الأطفال، ويملأ عقولهم ويحفزهم على النمو والارتقاء، هذه الشخصية التي يرى فيها

كل أطفال الملجأ الذين تربوا على يديه صورة الأب المعلم، والتي قال عنه "يانيك" في نهاية الرواية:

"שאלתי למה עזב את הרפואה ועבר לטפל דווקא בנו, ביתומים, הוא חייך בעייפות: בגללך. בגלל ילדים כמוך, אתה בעצמך התשובה.

ואז הוא קם וכמו בכל בוקר, פתח את התריסים ופיזר גרגרים על אדן החלון, השמים המתבהרים התמלאו ציפורים, שעפו לעברו, הוא היה אבא שלי." (١٨٥)

"سألته لماذا ترك الطب وانتقل لعلاجنا بالذات نحن الأيتام؟ تبسم بإرهاق: من أجلك، من أجل أطفال مثلك، أنت في حد ذاتك الإجابة.

حينها قام، وكما يفعل كل صباح، فتح الشيش، ونثر الحبوب على حافة النافذة، وامتلأت السماء الصافية بالعصافير التي تحلق نحوه، كان هو أبي."

قدمت الكاتبة شخصية "كورتشاك" في الفقرة السابقة في صورة الأب الذي يضحي من أجل أبنائه براحته واستقراره، وجمعت في شخصه بين الشفقة بالبشر من الأيتام وبين الرأفة بالعصفور مهيض الجناح حيث ينثر البذور على حافة نافذته، لتعلن في نهاية الفقرة تلقيب "يانيك" له بالأب، بالإضافة إلى جمعها في سلوكه بين سلوك الأب خاصة وسلوك الإنسان عامة، فقد حللت الكاتبة شخصية "كورتشاك"، وأعطتها لقبا على لسان بطل الرواية يجمع بين تفانيه وإنسانيته، ويلخص أحداث حياته في عنوان ثابت يدل عليه.

٢- الراوي

إن الراوي لأحداث الرواية بالكامل هو بطل الرواية الصغير الذي يعد شاهدا علي الأحداث وهو الموضح لما يتلمسه من مواساة وعزاء في حياته، وما يستشعره من ألم، وحديث الراوي في الرواية يعبر عن وعي وإدراك للأحداث ، وهذا الموقف الواعي هو ما يميزه، لأنه يروي في الحقيقة قصة حياته، ويقول أحد الباحثين:" إن الراوي الثقة كثير جدا في القصص والروايات ، وهو أقدم بكثير من الراوي غير الثقة، والكاتب يستخدم وسائل

كثيرة لتخييل الثقة في هذا الراوي منها استخدام الراوي للأماكن المعروفة بأوصافها الحقيقية. "[١٨٦]

وهذا ما قدمته الكاتبة فعلا في وصفها للأماكن وسردها للأحداث على لسان بطل الرواية "يانيك" كما اتضح سالفا في كثير من الشواهد المعروضة.

وتجدر الإشارة إلى أنه أحيانا ما يلجأ كتاب الرواية العبرية الحديثة _كما ذكرنا آنفا_ إلى تقديم الشخصية عن طريق التحليل النفسي لها أو إعطائها اسما يعطي دلالة معينة[١٨٧] ، إلا أن (تمي شيم طوف) قد أضافت إلى هذه العناصر عنصر الراوية التي ألقت بها على أكتاف بطلها، فجعلته هو الراوي العليم بسيرة حياته، وبمكنونات ذاته، فجاء التقديم والعرض على لسانه معبرا عن أفكاره وأسلوبه، وقد عبر النقاد أن مكمن التميز في رواية الكاتبة أنها استطاعت المزج ببراعة بين قصة حقيقية لها أساس على أرض الواقع، وهي قصة "كورتشاك"، وبين قصة من نسج خيالها هي قصة الطفل "يانيك". [١٨٨]

اختلف تماما مع هذا الرأي فإن هذا المزج الذي قامت به الكاتبة بين الواقع والخيال لا يعبر عن قدرة وبراعة على التنقل بين طرفي الحكاية قدر ما يعبر عن القدرة الهائلة على تزوير الواقع وتزييفه، بل والإضافة إليه والحذف منه، فقد جعلت الكاتبة من "يانيك" الراوي الأوحد لأحداث الرواية، وهي بذلك كانت تعبر عن آرائها ومعتقداتها هي من خلاله متلبسة لشخصه، مستقية لمعلوماتها من حوارات لها مع بعض خريجي ملجأ كورتشاك الذين هاجروا إلى إسرائيل[١٨٩] ، وهي بذلك شتتت عقل القارئ الصغير، وخلطت لديه المفاهيم بين ما هو حقيقي، وبين ما لا يمت للواقع بصلة وأرادت توجيه فكره إليه.

٣- الحبكة الروائية

تتولد الحبكة من قلب الحدث، ومن الممكن أن يكون تصاعد الأحداث تبادليا وتدريجيا في شكل السبب والنتيجة، بحيث يكون الحدث سببا لما يلحق به، ونتيجة لما يسبقه، فإذا بالكاتبة وقد اختارت حبكتها الروائية من حدث أول سرقة يقوم بها "يانيك" منذ وطأت قدمه أرض دار الأيتام، وجعلت من سرقته هذه نتيجة لما مُني به من إحباط حين علم أن ما حدث

لقدمه عاهة مستديمة ستلازمه مدى الحياة، وجعلت منها سببا كذلك لتأزم حاله وتصاعد أحداث حياته داخل الدار بسرعة غير مسبوقة، كما تكشف لنا عن مدى تأنيب ضميره وندمه الشديد لإقدامه على هذه الخطوة لقلقه من إمكانية استبعاده من الملجأ، وكذا من ردة فعل زملائه ومشرفيه، فنجده يقول:

"מה חשבתי? שאני יכול לרוץ? שאין לי עיגול אפור עקום בתוך לעצם? שהצלם זקוק לאומץ שלי? שהוא יתפעל ממני? למה? כי גם הוא היה גנב פעם? והדוקטור? מה, לא היה לי ברור שהוא יתאכזב ממני? לא זכרתי שהזהיר אותי – כבר ביום הראשון– שבית המשפט יכול להעיף על הגנבה? ואיך יוסק יגיב? ורוזי? ואיצ'ו? וגברת סטפה? ומה יהיה במשאל? ומה אם יגידו למירה לבוא לקחת אותי?" (١٩٠)

"ماذا كنت أظن؟ أنني سأتمكن من العدو؟ وأنه لا يوجد لدي دائرة داكنة مشوهة داخل العظم؟ وأن "هتسلم" في حاجة إلى شجاعتي؟ وأنه سيستمد قوته مني؟ لماذا؟ لأنه كان هو الآخر لصا من قبل؟! وماذا عن الطبيب؟ ألم يكن واضحا لي أنه سيخيب أمله في؟ ألم أقل أنه قد حذرني منذ اليوم الأول أن المحكمة يمكنها أن تطيح بفرد بسبب السرقة؟ وكيف سيكون رد فعل "يوسيك"؟ و"روزي"؟ و"ايتشو"؟ والسيدة "ستيفا"؟ وماذا سيحدث في استطلاع الرأي؟ وماذا إن قالوا لـ "ميرا" أن تأتي لتأخذني؟"

يبدو من الفقرة السابقة أن سرقة "يانيك" لآلة التصوير التي أحبها زميله "هتسلم" في طريق عودتهما من المشفى بعد الفحص كانت محاولة تعويضية لذاته المنكسرة، فكان يظن أن إسعاد "هتسلم" باقتناء تلك الآلة فيه تعويض نفسي له شخصيا عن خيبة أمله فيما تمنى، فعدوه بها مثل رمزا للهروب، وتجسيدا لقمة الحماس، إلا أن الأمر تحول إلى النقيض مما توقع، فكان لومه لنفسه أمرا طبيعيا ومعقولا وممثلا لحبكة روائية غاية في التعقيد خاصة أنها قد ألهبت نفس الطفل الصغير ألما وخوفا وترقبا وندما.

لعل أبرز ما أكد هذا التصور هو ما أتى على لسان "يانيك" نفسه من غوص في حلم "هتسلم"، وامتطاء لركب الخيال، والتحليق بأجنحة الحلم هروبا من الواقع الأليم الذي اتفق الطفلان على الرغبة في الفرار منه بعيدا نحو عالم رحب من الخيال النشوان، فإذا به يصف لنا حديث "هتسلم" معه:

"הוא אמר שיום אחד בקיץ הוא יעלה עם רטינה על עץ גבוה– ישכב על ענב ויצלם מלמעלה את הילדים בחצר.

והצילום יראה כאילו ציפור צילמה אותו –אמרתי– השיניים שלי התחילו לנקוש מהקור.

בדיוק– הצלם שמח שהבנתי אותו – כאילו דרך העיניים שלה. זאת אומרת, כמו שהיא רואה אותנו.

נראה לך שעד הקיץ יהיו לך שלוש מאות זלוטי? גיחך המוכר עם השיעור השימנוני.

השאלה זאת קצצה לנו את הכנפיים של הדמיון כמובן. ברור שלא יהיו לו שלוש מאות זלוטי. מאיפה יהיו לו? ירדו מהשמים?" (١٩١)

"قال أنه في أحد الأيام في فصل الصيف سوف يصعد مع آلة التصوير على شجرة عالية، ويرقد على الغصن، ويصور الأطفال في الفناء من أعلى، فقلت: سوف يبدو التصوير وكأن عصفورا قد صوره. وبدأت أسناني ترتعد من البرد

كان "هتسلم" سعيدا أنني فهمته وقال: بالضبط، وكأن ذلك يتم عبرعينيه بمعنى وكأنه يراه.

ضحك البائع بشعره الزلق وقال: هل تعتقد أنك ستملك في الصيف ثلاث مائة جنيها؟"

هذا السؤال قد قص لنا أجنحة الخيال بالطبع، فمن الواضح أنه لن يملك ثلاث مائة جنيها، من أين سيحصل عليها؟ هل ستهبط من السماء؟"

مثل البائع الذي جذبهم من حلمهم إلى واقعهم الكئيب رمزا مجسدا لهذا الواقع بكل ما به من خيبات، وقد مثل لـ "يانيك" عدوا يجب أن يحاربه بكل ما أوتي من قوة، فكان خياره الأوحد في السرقة ثم العدو، ليحل العدو في سباق الحياة محل التحليق بأجنحة الخيال التي قصها لهم هذا البائع الفظ، فإذا به يصف تجربة عدوه وكأنها الطيران والتحليق قائلا:

"רצתי באמת על שתי הרגליים. לא מהר כמו פעם , ברור שלא, אבל טסתי על הכאב ועל הצליעה."[١٩٢]

"لقد عدوت بالفعل على قدميَّ، ليس سريعا كما في السابق، فمن الواضح أنه لم يكن كذلك، ولكنني طرت فوق الألم والعرج."

لقد شعر أنه تحدى نفسه بألمه وعرجه وسوء حاله وتقلب مزاجه، فكان العدو طيرانا نحو عالم أكثر صفاء، عالم خلو من كل ما يكدر الصفو ويؤذي النفس ويحرك الذاكرة.

هذا تماما ما وصفه "يانيك" وهو يحكي لزملائه عما حدث قائلا بلسان متثاقل وتعب شديد، وهو يصف إعياءه الشديد وعدم قدرته على ترتيب أفكاره:

"הרגשתי משונה, כאילו בתוך הראש שלי תופח גוש בצק, לא הצלחתי לארגן את המחשבות והרגשות שלי למשפטים ברורים. הם התערבלו לי במוח. ובכול זאת, רציתי להסביר, הזזתי לשון כבדה בתוך פה יבש ופלטתי צרור משפטים שלא קשורים זה לזה: המוכר היה מגעיל. לא לכובע ולפרווה. בקיץ הצלם יצלם מהעץ. מצלמה בשלוש מאות זלוטי. זה לא צודק. אם הצילום יוצא מכוער לפחות שהרנטגון ירפא. זה בית ספר לרפואה. לא בית ספר לנסים. חבל אי אפשר להוציא את הזהום. יצאתי כמו שנכנסתי. יום אחד עוד ימציאו תרופה. נולד לרוץ? עכשיו נראה אותך רץ. זה לא צודק, ואז לחשתי ובלי להתכוון בכלל נפלט לי גם, (גנב בן גנב)" [١٩٣]

"أحسست إحساسا غريبا، وكأنه يستقر في داخل رأسي كتلة من عجين، لم أوفق في تنظيم أفكاري ومشاعري في جمل واضحة، لقد شوشوا لي تفكيري، ورغم ذلك أردت أن أوضح، حركت لساني المتثاقل في داخل فم جاف، ونطقت بعدة جمل لا ترتبط ببعضها البعض: "كان البائع مقززا، بدون قبعة أو فرو، كان "هتسلم" سيلتقط صورا في الصيف من فوق الشجرة، وآلة التصوير بثلاث مائة جنيها، هذا غير معقول، إذا كان التصوير سيئا فالأشعة سوف تعالج على الأقل، إنها كلية الطب، وليست كلية المعجزات، للأسف لا يمكن علاج التلوث، خرجت كما دخلت، ذات يوم سيخترعون علاجا، هل وُلد ليعدو؟ الآن سوف نراك عداء، هذا ليس صحيحا" وحينذاك همست دون قصد تماما، فقد انفلت لساني أيضا قائلا: لص وابن لص"

وجمعت الفقرة السابقة بين مواطن المعاناة والألم في نفس "يانيك" الصغيرة، وهذا رغم عدم قدرته على صياغتها ببراعة، فقد انطلقت بواطن نفسه، وعبر عن مكمن العجز في عقله الباطن لا شعوريا من فرط الألم وخيبة الأمل وضياع الحلم، وقد استطاعت "حنا" إحدى زميلاته التي تهوى القراءة والتحليل ثبر غور نفسه، وحل ألغازها، فأبانت قائلة:

"אני חושבת שאני מבינה: הוא היה בבדיקה. זה היה מאכזב. זה הרי לא בית ספר לנסים, והוא יצא משם בדיוק כמה שנכנס- היא נשמה עמוק והמשיכה. המלים נשפכו ממנה כמו מים חמימים- אחר כך בחנות המצלמות, המוכר היה מגעיל אליהם, והמצלמה שהצלם רוצה עולה שלוש מאות זלוטי, אז בגלל האכזבה מהבדיקה, ובגלל המוכר המגעיל והמצלמה היקרה, יאניק הרגיש שהכל לא צודק, ורצה לפצות את עצמו או את הצלם או את שניהם, לכן הוא ניסה לגנוב אותה." (١٩٤)

"أنا اعتقد أنني فهمت: لقد كان في الفحص، وكان محبطا، فهي ليست كلية المعجزات، ولذا فقد خرج من هناك تماما كما دخل. ، تنفست الصعداء ثم أكملت، وكانت الكلمات تتدفق منها كالماء الدافئ: بعد ذلك، في معرض آلات التصوير، كان البائع سيئا معهما، وآلة

التصوير التي يريدها "هتسلم" تتكلف ثلاث مائة جنيها، وبالتالي بسبب خيبة الأمل من الفحص، والبائع المقزز، وآلة التصوير باهظة الثمن أحس "يانيك" أن كل شيء غير معقول وأراد أن يعوض نفسه، أو يعوض "هتسلم" أو كلاهما، لذلك حاول سرقتها."

وصف "يانيك" تأويلها بأنه نزل عليه كالماء الدافئ من فرط تعبيره عما يجول في خاطره من خيبات، وهذه هي المآسي التي صاغت حبكة الرواية التراجيدية بممارسة "يانيك" للسرقة التي كانت تمثل دواء شافيا له من أوجاعه كانتقام من الظروف السيئة، وانتقام من البشر اللامبالين.

مثل بدء انفراج الحبكة في مرض "يانيك" الشديد الذي جعله يغيب عن الوعي مغشيا عليه، هذا المرض التي سخرت منه صديقته "روزي" معتقدة أنه يختلقه كمحاولة للهروب من موقفه المتأزم، وهو يصف هذا المرض وكأنه هدية نزلت عليه من السماء بقوله:

"**בדבר אחד רוזי צדקה: לפעמים נוח להיות חולה, אמנם מרגישים רע ואולי יש גם כאבים, אבל לא חייבים להתאמץ, לא חייבים כלום. לא בחרתי לחלות, אבל המחלה שנדבקתי בה- חזרת- נתנה בי פסק זמן מהכול ... אבל בתוך כל התחושות הלא נעימות האלה- פשוט נחתי.**"[١٩٥]

"كانت "روزي" على حق في شيء واحد: أحيانا يصبح كونك مريضا شيئا مريحا، حقا نشعر بالتعب ونعاني من الألم كذلك، ولكن نكون غير ملزمين ببذل الجهد، وغير ملزمين بأي شيء على الإطلاق، لم اختر المرض، ولكن أعطاني المرض الذي علق بي –التهاب الغدة النكفية– مهلة من كل شيء... أنا أعلم أن هذا يبدو غريبا، ولكن وسط كل الأحاسيس غير اللطيفة تلك كنت ببساطة مرتاحا."

وصفت الكاتبة على لسان بطلها بدء انفراج الحبكة بلفظة (كنت مرتاحا)، فقد كان المرض الذي يمثل في الغالب منبع الألم والتعب الراحة النفسية التي أبعدت عن "يانيك" كل محاولة لتفسير موقفه، أو تبرير سلوكه.

٤- الحوار

وُظف الحوار في الرواية لكشف طبيعة بعض الشخصيات وتفكيرها، وإزالة الغشاوة عن عيني البطل ليدرك صديقه من عدوه، فـ "روزي" الجميلة التي تمناها لنفسه كي تكون رفيقته ثم حبيبته ظهرت على وجهها الحقيقي، وقد كشف ذلك عن مكنونات صدرها المعبأ بالكراهية له والحقد عليه، بينما وقف الجميع يناصره ويؤيده، وكان الحوار التالي هو الكاشف لأقنعة الشخصية، فبعد أن تفهمت "حنا" مأساة "يانيك" وعرضتها، دار الحوار كالآتي:

"תודה חנה" אמר יוסק

כן – פלט איצ'ו לעברה

שכחת להגיד שהוא גנב בן גנב– אמרה רוזי לחנה והורידה עלי עוד פטיש.

היית חייבת להגיד את זה? שאל יוסק בכעס ורקע ברגל.

יאניק עצמו סיים בזה את נאום הרמזים המפואר שלו– היא ענתה כאילו במתיקות, ואז שוב החמיצה: חוץ מזה, למה להיות צבועים? זה לא שאנחנו לא יודעים שהוא גנב בן גנב, כבר שמענו שכל השכונה שלו יודעת את זה עליו.

עוד פטיש ועוד פטיש ועוד פטיש

כן– סיכמה רוזי – הוא גנב בן גנב

אל תערבי הורים, מילמל איצ'ו בחצי חיוך.

היא שוב כעסה: אין אצלנו מקום לאנשים כאלה ואין סיבה שיוסק ימשיך לקחת עליו אחריות...

מגיעה לו הזדמנות כמו לכל אחד אחר פה– קטע אותה יוסק." (١٩٦)

"قال "يوسيك":شكرا "حنا"

قال لها "ايتشو": أجل

قالت "روزي" لـ "حنا" وقد وجهت لي ضربة أخرى: نسيت أن تقولي أنه لص ابن لص

سأل "يوسيك" بغضب، وضرب الأرض بقدمه: هل من الضروري أن تقولي ذلك؟

أجابت بسلاسة: "إن "يانيك" نفسه قد أنهى بها خطابه الرمزي الرائع ثم تحمست قائلة: "وباستثناء ذلك لماذا ننافق؟ ألا نعرف أنه لص وابن لص، لقد سمعنا أن كل الحي خاصته يعرفون عنه ذلك.

ضربة أخرى فأخرى فأخرى

لخصت "روزي" قائلة: نعم، إنه لص ابن لص.

تمتم "ايتشو" بنصف ابتسامة: لا تزجي بالأهل في الموضوع.

عاودت الغضب: ليس لدينا مكان لمثل هؤلاء البشر، وليس هناك سبب يجعل "يوسيك" يواصل الوصاية عليه...

قاطعها "يوسيك" قائلا: إنه يستحق فرصة ككل فرد آخر هنا."

كشف الحوار السابق كذلك عن خطأ "يانيك" في حكمه القاسي على "يوسيك" بأنه متعجرف يدعي الفضيلة، فقد كان السند في أصعب المواقف، الأمر الذي أثبت فعلا أنه لا يرائي ولا ينافق، وأنه فاضل حقا وليس إدعاء، وإذا بـ "يانيك" يؤكد ذلك بعد أن أدرك ما في شخصية "يوسيك" من نبل حقيقي قائلا:

"טעיתי ביוסק. עד עכשיו היה לי ברור שהוא עוזר לי רק כדי לזכות בעוד נקודות, ולהמשיך להוכיח כמה שהוא צדיק, בכלל לא היה לי ספק שהוא מתאמץ שאשתלב בבית היתומים רק כדי שכולם יראו איזה חונך מוצלח הוא, זה לא היה נכון, זה לא היה המניע היחיד, הוא רצה שאקבל הזדמנות אמיתית, גם ברוזי טעיתי, פתאום התבישתי בכל הדברים, באלה שעשיתי ודם באלה שרק עברו לי בראש."[١٩٧]

"أسأت الظن في "يوسيك" فحتى الآن كان واضحا بالنسبة لي إنه يساعدني فقط ليحصل على نقاط إضافية، وحتى يواصل إثبات كونه فاضلا، ولم يكن لدي شك أبدا أنه سيجتهد ليجعلني اندمج في دار الأيتام، فقط حتى يرى الجميع أنه معلم موفق، ولم يكن هذا صحيحا، فلم يكن هذا هو الدافع الوحيد، لقد أراد أن أحصل على فرصة حقيقية، كذلك أخطأت في حكمي على "روزي"، وفجأة خجلت من كل ما قمت به من أمور، ومن كل ما جال بخاطري."

يوظف الحوار في الرواية كذلك كوسيلة للوصول إلى المعلومة بالسؤال، فنجد فضول "يانيك" الطفولي يدفعه لسؤال الطبيب عن طبيعة المرض الذي ألم به:

"**מה זה חזרת?**

מחלה מידבקת. הבלוטות מתחת לאוזניים ובגרון מתנפחות. רוצה לראות בראי? הוא הושיט לי מראה קטנה. הכל היה נפוח: הצוואר, הגרון וכל החלק התחתון של הפנים, נראיתי כמו חזיר

אני אמות מזה?

לא – הוא ענה בבטחון– המחלה עכשיו בשיאה, אבל עוד כמה ימים זה יעבור." (١٩٨)

"ما هذه الغدة النكفية؟"

"هي مرض معدي يجعل الغدد أسفل الأذن والحنجرة منتفخة، هل تريد أن تشاهده بالمرآة؟"

ناولني مرآة صغيرة، فوجدت كل شيء منتفخ الرقبة والحلق وكل الجزء الواقع أسفل الوجه، بدوت كما الخنزير.

"هل سأموت به؟"

أجاب بثقة: "كلا، المرض الآن في ذروته، ولكن بعد عدة أيام سيزول."

مثل الحوار كذلك مجالا للبوح بمكنونات النفس، والرغبات الدفينة، والتعبير عن الآمال التي يرجو الأطفال تحقيقها، فها هي "حنا" تحكي لـ "يانيك" عن أملها في أن تصير أمينة مكتبة حين تكبر، فيروي "يانيك" جوانب الحوار قائلا:

"חנה אמרה שכשתגדל תהיה ספרנית. כבר עכשיו היא משתדלת לקבל כמה שיותר תורניות בספרייה שלנו– באולם הגדול– אבל לפעמים גם אחרים רוצים, אז אין לה ברירה אלא לחלוק בתפקיד... אם תתן לילד ספר שלא מתאים לו, שישעמם אותו או יהיה לו קשה מדי– טענה– יעבור לו החשק לקרוא ספרים בכלל, הוא לא ירצה לנסות עוד ספר, לעומת זאת אם תדייק ותתן לו ספר שיכבוש אותו, תפתח לו את הלב לדברים אחרים.

אמרתי שאני מעדיף עיתונים. אני אוהב את האורך – כלומר את הקוצר– ואוהב לדעת שהכל אמת או אמור להיות, אני רוצה לקרוא דברים שקרו או שקורים"ן חנה אמרה שהיא מעדיפה דמיון וסיפור שיש בו אורך, שלא נגמר אחרי עשר דקות קריאה, שלא משנה אם הוא קרה באמת או אם הוא מומצא כולו, העיקר שהוא תופס אותך לגמרי, ולוקח אותך מאיפה שאתה נמצא. עיתון, היא קטנה, דווקא מגביר את ההרגשה שאין לאן לברוח, כלל אתה קורא על המקום שבו אתה נמצא."[١٩٩]

"قالت "حنا" إنها حين تكبر ستصبح أمينة مكتبة. حتى الآن تحاول الحصول على المزيد من النوباطشيات في مكتبتنا في القاعة الكبرى، ولكن أحيانا يرغب آخرون، فلا يصبح لديها خيار سوى أن تقسم العمل ...ثم قالت: "إذا أعطيت الطفل كتابا لا يناسبه، يصيبه بالملل أو يكون صعبا أكثر من اللازم فأنت تمحو عنه عشق قراءة الكتب تماما، فهو لن يرغب في أن

يجرب كتابا آخر، وفي المقابل إذا دققت وقدمت له كتابا يأسر لبه، فأنت تفتح قلبه لكتب أخرى"

قلت لها إنني أفضل الصحف، فأنا أحب الطول أقصد الاختصار، وأحب أن أعرف أن كل شيء واقعي، أو من شأنه أن يصبح حقيقة، وأرغب في قراءة أمور قد حدثت أو تحدث، قالت "حنا" أنها تفضل الخيال والقصة الطويلة التي لا تنتهي بعد عشرة دقائق من القراءة، ولا فارق لديها إن كان قد حدث حقا أو كان متخيلا كله، الأساس أن يسيطر عليك ويأخذك من حيث توجد، الجريدة صغيرة ، وهي تزيد من الإحساس بأن لا مفر، فأنت تقرأ بشكل عام عن المكان الذي تتواجد فيه."

فتح الحوار في الفقرة السابقة المجال لتعبير "يانيك" عن اهتماماته بقراءة الصحف، كما فتح بابا للمناقشة وتبادل الرأي.

كان حوار الطبيب السابق مع "يانيك" منذ نزل الدار حوارا لا ينساه أبدا، بل ويستدعيه في أحلك اللحظات لينتشله من تخبطه وتشتت فكره ويلهمه الصواب، لتؤكد لنا الكاتبة على قيمة حوار المعلم والمربي، وكيف أن الحوار يكون ميثاقا يأخذه الأطفال عن قدوتهم، ففي الفقرة التالية بعد حالة من التخبط انتابت "يانيك" ما أن سرق للمرة الثانية ورق الكربون من مكتب المحامي، وجلس نادما لا يدري ماذا يفعل، جاء حوار الطبيب كالنجدة أو كالمعجزة[٢٠٠] كما وصفته الكاتبة على لسان البطل، فنقرأ:

"פתאום, כמו נס, עברו לי בראש את המשפטים שהדוקטור אמר לי כשרק הגעתי: לא כדאי לגנוב, אם מישהו צריך משהו הוא מבקש, אם אפשר נותנים לו, אם לא- לא- בבת אחת נרגעתי לגמרי, וגם ידעתי מה נכון לעשות. לבקש. אני יודע, זה נראה פשוט, ממש מובן מאליו, אבל לא היה לי הרגל כזה, עד עכשיו זאת בכלל לא היתה אפשרות מבחינתי, לבקש, אם רציתי משהו, או שגנבתי או שכעסתי שאין לי."[٢٠١]

"وفجأة كما المعجزة جالت في خاطري العبارات التي قالها لي الطبيب في بداية قدومي: في دار الأيتام لا ينبغي أن نسرق، إذا احتاج شخص ما شيئا عليه أن يطلب، إن كان ممكنا نعطيه، وإن لم يكن فلن نعطيه.

في لحظة واحدة هدأت تماما، وعرفت كذلك ما ينبغي فعله، أن أطلب، أنا أعرف، هذا أمر بسيط، بل بديهي، ولكنني لم أكن اتبع مثل هذا المنهج، حتى الآن لم يكن هناك استعداد من جانبي، لأن أطلب إن أردت شيئا، إما أن أسرق أو أن أغضب أنني لا أملك."

وظف الحوار كمنهاج للإشارة إلى المنهج الذي ينبغي اتباعه، وهو منهج ليس بالمعقد، ولكنه يغيب عن الأذهان ويحتاج إلى مرشد ودليل يجده الطفل في محاورة سابقة مع معلمه.

٥- البداية والنهاية ودلالتهما الرمزية

مثلت البداية في الرواية تكنيكا للعرض الروائي كبديل عن الإخبار المباشر، فربما أرادت الكاتبة عرض الشخصية التي هي أساس الحكاية ومنبع الحدث والرواية، فلم تجد أبلغ من عبارات بسيطة تشرح حاله في إيجاز غير مخل، فجعلته يعبر عن نفسه بنفسه ويحكي القصة بروايته ومن وجهة نظره قائلا:

"עד ששברו לי את הרגליים, אף אחד לא רץ כמוני. כשחלפתי ברחובות העיר בריצה אדירה אנשים נעצרו בפליאה. מה זה היה? שאלו, ווכשהבינו שאני רק ילד התמלאו תקווה שיום אחד אשתתף באולימפיאדה ואביא לכולנו נצחון וכבוד." (٢٠٢)

"قبل أن يكسروا قدمي لم يكن أحد يعدو سريعا مثلي، وعندما أمر بطرقات المدينة في عدوة خاطفة هائلة يصاب الناس بالذهول، ويتساءلون: ما هذا؟ وعندما يدركون أنني مجرد طفل يملأهم الأمل أنني في يوم ما سأشارك في الأولمبياد وسأحقق لنا جميعا النصر والفخار"

لقد أبانت مقدمة الرواية عن إعاقة المتحدث فهو أعرج، وأن إعاقته كانت بفعل فاعل معلوم للراوي مجهول للقارئ إلى الآن، كما أوضحت أن هذا العرج قد قضى قضاء مبرما على قدرة فائقة على العدو أذهلت الجميع، وعلى حلم قديم بحصد الميداليات في

مسابقات ومباريات عالمية، وأبرزت أن النصر والنشوة والإحساس بالفخار قد رحلوا مع قدمه، ولكنهم ظلوا يلمعون بالذاكرة.

أما النهاية فقد حملت معها ارتباطا شديدا بشخص جديد في حياة الطفل "يانيك"، وهو في الحقيقة شخص الطبيب "كورتشاك"، الذي مثل المستشار مقبول المشورة، فرغم ما تراءى في نفس "يانيك" من عدم الرغبة في السفر مع أخته إلى فلسطين، ورغم ما أحسه من قرب من الطبيب ورغبة في البقاء معه، وعدم ترك الدار إلى أي مكان كان، إلا أن كلمة الطبيب التي قالها ما أن فاجأه بأمر إمكانية سفره كانت لها قدسية ما ألجمت فم الطفل وساقته إلى حيث يشير الطبيب، فقد قال له ببساطة كما تدعي الكاتبة أن السفر هو الاختيار السليم، وها هو "يانيك" يصف موقفه قائلا:

"לא תיקנתי אותו. לא אמרתי: לא, לא אני לא רוצה לעזוב. לא אמרתי: אחותי היא לא המשפחה היחידה שלי, יש לי גם אתכם. לא אמרתי: העיתון... מבחני סיום... השבועון... עוד מעט חופש גדול, נוסעים לכפר. פשוט הבנתי: זאת באמת הבחירה הנכונה, לעזוב עכשיו ולנסוע עם מירה לארץ ישראל, ואחרי רגע חשבתי, טוב שיש לי שם את יוסק, וגם- הלוואי שאיצ'ו היה בא איתי." (٢٠٣)

"لم أعدل عليه، لم أقل له: "كلا، كلا أنا لا أريد أن أرحل." ولم أقل: "إن أختي ليست أسرتي الوحيدة، فأنتم لديَّ أيضا."، ولم أقل: "الصحيفة... الامتحانات النهائية... المجلة الأسبوعية... بعد قليل ستأتي الإجازة الكبرى، وسنسافر إلى القرية" أدركت ببساطة أن هذا بالفعل الاختيار السليم، أن أغادر الآن وأسافر مع "ميرا" إلى فلسطين، وبعد لحظة فكرت أنه من الجيد أن لديَّ "يوسيك" هناك، وربما يأتي "ايتشو" معي."

إذا كانت بداية الرواية قد عبرت عن منتهى الإحباط من عرج وضياع للحلم، وتشتت للحالم، وافتقاد لمعاني النصر والفخار، فقد حملت النهاية معها انتصارا كبيرا ليتيم فقد

معاني الأبوة والاحتواء، فقد عثر له على أب، ويتضح هذا في الفقرة التالية، إذ يتساءل "يانيك" قائلا:

"שאלתי למה עזב את הרפואה ועבר לטפל דווקא בנו, ביתומים, הוא חייך בעייפות: בגללך. בגלל ילדים כמוך, אתה בעצמך התשובה.

ואז הוא קם וכמו בכל בוקר, פתח את התריסים ופיזר גרגרים על אדן החלון, השמים המתבהרים התמלאו ציפורים, שעפו לעברו, הוא היה אבא שלי." (٢٠٤)

"سألته لماذا ترك الطب وانتقل لعلاجنا بالذات نحن الأيتام؟ تبسم بإرهاق: من أجلك، من أجل أطفال مثلك، أنت في حد ذاتك الإجابة.

حينها قام، وكما يفعل كل صباح، فتح الشيش، ونثر الحبوب على حافة النافذة، وامتلأت السماء الصافية بالعصافير التي تحلق نحوه، كان هو أبي."

جمعت الفقرة الفائتة بين رضا الطفل "يانيك" عن الأب الذي توجه نحوه بإرادته كما تفعل تلك العصافير الجائعة عندما ينثر لها الطبيب الحبوب على نافذته، وبين رضا الطبيب عن التضحية بكل ثمين من أجل هذا الطفل وغيره ليكون لهم أبا قانعا مختارا.

٦- الزمان والمكان

"إن زمن كتابة العمل النثري وكذا عصر الأديب الذي أبدعه أمر ضروري في التعرف على المكان، وتحديد زمن اختيار الأديب له، فمعالم المكان تتحدد باستيعاب تفاصيل الزمان."(٢٠٥)

وأدعي ارتباط الزمان بالمكان في الرواية، كما أدعي اختيار الكاتبة لبولندا كمسرح لأحداث الرواية لهدف ما كشفت عنه الأحداث، وأكدته خاتمة الرواية الملحقة، كما حددت الخاتمة أيضا زمن نهاية الرواية قبل عدة أشهر من بداية الحرب العالمية الثانية، وإقامة معسكرات الاعتقال في بولندا على يد (هتلر)، كما مثل انتماء الكاتبة إلى المرحلة المعاصرة من الأدب العبري شاهدا ودليلا على صدق هذا الإدعاء.

حرك الكاتبة توجهها الصهيوني البحت، ووجهها إلى اختيار "كورتشاك" كإحدى الشخصيات الأساسية في رواية للطفل اليهودي، لتجمع بين طرفي خيط رفيع، طرف الإشارة إلى كم الإنسانية المفرطة، والتعبير السخي عن القيم الممثلة في هذا الطبيب اليهودي البولندي الإنسان، واحتكار فعاله كوسام تضعه على صدر كل يهودي في إسرائيل، أما الطرف الآخر هو طرف اصبع سبابتها الذي يشير إلى العالم من حولها إشارة اتهام بالقسوة والوحشية والعنصرية والتدني، ثم كان الهدف بث كل هذه المفاهيم المراد ترسيخها في أذهان الأطفال اليهود ووجدانهم، للتأكيد على عفة اليهود وطهارتهم، في مقابل نبذ العالم لهم واحتقارهم[٢٠٦].

كان المكان مسرح الأحداث مكانا مثاليا وفره لها كنزها الثمين "كورتشاك" لتشير من خلاله لويلات التعذيب التي لاقاها رغم إنسانيته، وتشير إلى نهايته الأليمة مقتولا في إحدى معسكرات الاعتقال في (تربلينكا) [٢٠٧] ، وهاهي الكاتبة تقول تحت عنوان (ملاحظات الأديبة) التي ذيلت بها روايتها ما نصه: " بطل هذه الرواية (يانيك وولف) هو شخصية خيالية، ولكن دار أيتام (يانوش كورتشاك) هو مكان حقيقي، وقد عمل طوال ثلاثين عاما في (وارسو) بـ (بولندا)، حتى وضعت له الحرب العالمية الثانية نهاية مؤلمة، كان زمن نهاية هذه الرواية قبل عدة أشهر من بداية تلك الحرب اللعينة"[٢٠٨] فقد حددت بنفسها زمان الرواية ومكانها وربطتهما ربطا بديعا معبرا عن كل ما أرادت بثه وتصديره للعالم، وكذا غرسه في عقل الصغار قبل الكبار[٢٠٩].

الخاتمة

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

١- انقسم أدب الطفل من حيث الجنس الأدبي ما بين شعر ونثر.

٢- تنوع من حيث الشكل ما بين حكايات تروى للأطفال في صورة الحكاية أو الأنشوة، وحكايات تروى عن الأطفال حيث يكون الطفل هو بطل العمل الأدبي وراوي الحكاية كذلك.

٣- تعدد من حيث المضمون ما بين موضوعات تخص التربية والوعظ، وموضوعات تخص التسلية واستنباط الحكمة، وموضوعات تُعنى بالسخرية من الكبار وسلوكهم نحو أطفالهم، وموضوعات تقتبس مغزاها ومادتها من القصص التاريخي، وقصص العهد القديم والأعياد في اليهودية.

٤- ندر أن يخلو عمل أدبي عبري حديث من توجهات صهيونية تلك التي ترد من خلال التصريح أو التلميح.

٥- جمعت الأعمال الأدبية العبرية الحديثة التي كتبت في أدب الطفل بين كون الطفل هدفا ووسيلة في آن واحد.

٦- استخدم أدب الطفل العبري الحديث وسائلا أخرى كثيرة غير الإنسان في عرض الفكرة كإنطاق الحيوان والجماد.

٧- مثلت الشخصية أساس العمل الأدبي في أغلب الأعمال الأدبية التي كتبت للطفل، وكان الحدث مساعدا للشخصية وموضحا لسماتها.

٨- إبراز شخصية (يانوش كورتشاك) والتعبير عن كونها شخصية حقيقية، وأن هذا هو التوقيع الأدبي لها، وأن اسمه الحقيقي هو (هنريك جولدشميت).

٩- توضيح كون "كورتشاك" طبيبا يهوديا بولنديا، وهو كذلك أديبا ومربيا عُني بمجال تنشئة الطفل وتربيته، وله مؤلفات في هذا المجال.

١٠- الإشارة إلى أن هذه الشخصية هي استثناء محمود وسط قاعدة عريضة من العنصرية والصهيونية والتمييز .

١١- التدليل على أن الاهتمام العالمي بـ "كورتشاك" بعد وفاته بعشرات السنين يشير إلى أن الإنسانية تقابل بمثلها، وتعلي ذكر أصحابها.

١٢- التنويه عن توظيف هذه الشخصية في الأدب العبري المعاصر على يد (تمي شيم طوف) في الرواية موضوع البحث.

١٣- عبرت الرواية عن مضامين الشقاء الإنساني من يُتم وفقر ومرض جسدي ونفسي، وكذا بروز عدة مظاهر اغترابية في نفس بطل الرواية رغم حداثة عمره كالاغتراب عن البشر، والاغتراب عن المكان، والاغتراب عن الذات، بالإضافة إلى الوقوف على أسباب الاغتراب ونتائجه.

١٤- برزت في الرواية عدد من القيم الإنسانية والسلوكيات المحمودة التي عبرت عنها الكاتبة تصريحا وتلميحا كالايثار، والتفاني والإخلاص في العمل، والصدق، والصداقة ، والرحمة، والنظام.

١٥- أبرزت الكاتبة دور التحاور مع الطفل والإنصات إليه بما له من أثر إيجابي في كشف النقاب عن عدد من الأمور الخافية، هذا بالإضافة إلى دوره في تنمية مهارات الطفل ومعرفته، وأكدت كذلك أن هذا ينبع من فضوله الطفولي الذي لا ينبغي تجاهله.

١٦- عرضت الرواية لعدد من حقوق الطفل المطبقة في دار أيتام "كورتشاك" كتشجيع المواهب، وحق الطفل في التعبير عن نفسه، وحقه في النصح دون إجبار، وحقه في أن يحب وأن يكون محبوبا، وحقه في تنمية مهاراته وقدراته وحثه على الإبداع، وحقه في الاهتمام الصحي والنفسي والمعيشي، وحقه في احترام أسراره والثقة به.

١٧- قدمت الكاتبة في محاولات دؤوبة عددا من الاستشهادات التي تتهم المجتمع البولندي بالعنصرية والتمييز، وتصور اليهود بصورة الضحية المغلوبة، وذلك في محاولة منها لبث عدد من التوجهات الصهيونية من خلال التبرير للهجرة إلى فلسطين، وتأييد الصهيونية بجلاء معتبرة قرار السفر إلى فلسطين اختيارا أمثل.

١٨- كانت هناك عدة إشارات في الرواية إلى هتلر والمحارق وإشارة في ملحق الرواية إلى مصير "كورتشاك" الأليم حيث مات مقتولا في معسكرات الاعتقال في بولندا وذلك دعما للتوجه الصهيوني ذاته.

١٩- وظفت الكاتبة شخصية "كورتشاك" توظيفا يخدم توجهاتها الصهيونية، فعرضت في بداية روايتها لتميزه وإنسانيته، كما عقدت مقارنة بين إنسانيته تلك وبين عنصرية المجتمع

لتصل إلى نتيجة أرادت على مايبدو توصيلها للقراء، وغرسها في عقل الطفل ووجدانه، من أن المجتمعات التي عاش اليهود بين ظهرانيها قد لفظتهم واضطهدتهم، فكانت هجرتهم بدافع من رغبتهم في التحرر من الظلم المجتمعي، والعنصرية المقيتة.

٢٠- فرقت الكاتبة بين الطفل اليهودي، وغيره من يهود العالم ولا سيما يهود بولندا، بأن أصبغت عليه من الصفات الإيجابية، وجعلت السلبيات من نصيب غير اليهود.

٢١- استخدمت الكاتبة في روايتها اللغة الموحية بالكآبة لتعبر عن ضياع الحلم وخيبة الأمل والإحباط، وحملت عباراتها دلالات رمزية عدة.

٢٢- وظف العنوان كعتبة نصية ناجحة، إذ ارتبط ارتباطا وثيقا بمغزى العمل، كما استخدمت الكاتبة عتبات أخرى كصفحة الإهداء وصورة الغلاف.

٢٣- تميز أسلوب الكاتبة بتطعيم العبارات أحيانا بالمواقف الطريفة، والنوادر، والحكايات الشيقة للقضاء على الملل وحث الطفل على المتابعة.

٢٤- يحضر أسلوب السخرية أحيانا في التعبير الروائي للكاتبة، ويرتبط بالنادرة والموقف الفكاهي، ولكن فيما ندر.

٢٥- تقدم الرواية وصفا دقيقا للشخصيات والأماكن والأحداث.

٢٦- تقوم عناصر البناء الروائي في الرواية على الشخصية خالقة الحدث، والتي تنقسم بين دور البطولة، لا سيما البطل الضد، وكذا أدوار أخرى رئيسة، ثم أدوار ثانوية، ثم هامشية.

٢٧- تستخدم الكاتبة الأسماء الحقيقية والأسماء من وحي خيالها للتقديم للشخصية في الرواية.

٢٨- وفقت الكاتبة في اختيار حبكتها الروائية مما أثر في جعل الرواية متماسكة البنية واضحة المعالم.

٢٩- وظف الحوار لأهداف أربعة هي: الوصول إلى المعلومة، واكتشاف الحقيقة، والبوح بمكنونات النفس، وأهداف التربية والتعلم.

٣٠- ربطت الكاتبة بين البداية والنهاية ربطا موضوعيا لتعبر عن تغير الحال، والتحول من قمة اليأس إلى قمة الأمل.

٣١- ربطت الكاتبة بين تحديد الزمان وربطه بتفاصيل المكان بما يحمله ذلك من دلالات رمزية وصهيونية أرادت لفت الانتباه إليها.

الهوامش

(١) تمي شيم طوف **תמי שם טוב** (١٩٦٩: ...): أديبة يهودية تكتب عن أدب الأطفال، وتكتب كذلك سيناريوهات لعدد من الأفلام، ولدت لأم من جنوب أفريقيا وأب من العراق، وهي الابنة الثالثة من أربعة أبناء، ولد الأبناء جميعا وتربوا في مستوطنة (كريت أونو)، وعاش كل منهم في مكان مختلف عن الآخر، فتعيش هي وإحدى أخواتها في إسرائيل، بينما يعيش الأخ الأكبر في جنوب أفريقيا والأصغر في نيويورك، ولها ابنة تدعى (نُعمى)، وكرمت وحصدت عددا كبيرا من الجوائز الأدبية عن أعمالها الأدبية، للمزيد عن الكاتبة ونتاجها الأدبي: **ראה: – פרלסון, ענבל: עקבות האבא דרך הדואר האלקטרוני. הארץ, מוסף ספרים, גל' 31 (בפברואר 1999), עמ' 11.**

– פרס זאב: נימוקי ועדת השופטים להענקת פרס זאב לספר "רק בשביל מילי", מאת תמי שם טוב / ד"ר מירי ברוך, ד"ר סלינה – משיח, גרשון ברגסון: ספרות ילדים ונוער, שנה 25, חוב' ב' (1998), עמ' 11, 12.

– דר, יעל: לקרוא על הקושי לקרוא. הארץ, מוסף ספרים, גל' 381 ביוני 2000, עמ' 62.

ـــــ: בדיוק לימי החופש. הארץ, מוסף ספרים, גל' 490 ביולי 2002, עמ' 8.

– סלע, מיה. מהפכת הסיפורים של תמי. הארץ, גלריה, (ראיון עם הסופרת בצאת ספרה לאור), בנובמבר 2013, עמ' 4– 5.

(٢) سيتم الحديث عن الشخصية تفصيلا في تمهيد البحث.

(٣) ليئة جولدبرج **לאה גולדברג** (١٩١١: ١٩٧٠): أديبة يهودية خاضت غمار أدب الأطفال، ولدت في روسيا الشرقية، وهاجرت إلى فلسطين في عام ١٩٣٥، حصلت على الدكتوراة في الفلسفة واللغات السامية من جامعة بون، وتعد واحدة من أهم الشاعرات في تاريخ الأدب العبري الحديث في المرحلتين الفلسطينية والإسرائيلية، تركت ميراثا أدبيا كبيرا من الشعر وأدب الأطفال، وتكريما لذكراها سميت باسمها جائزة أدبية تمنح للأدباء البارزين في إسرائيل. راجع: زين العابدين محمود حسن: شعر ليئة جولدبرج بين النظرية والتطبيق، مجلة الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ١٩٨٤، ومن بين ما كتبت للأطفال: **דירה להשכיר** شقة للإيجار , **מה עושות האיילות** ماذا تفعل الأشجار , **מעשה בצייר** قصة عن الفنان.

–Shaked,Gershon: Hebrew Writers ,Institute for translation of Hebrew literature, Israel, 1993… p.52.

(٤)حاييم نحمان بياليك **ח.נ. ביאליק** (١٨٧٣: ١٩٣٤): أديب يهودي فاقت شهرته كشاعر مجال الكتابة النثرية، ولقب بالشاعر القومي لأنه كان يتناول قضايا صهيونية ويدعو اليهود إلى الهجرة وعدم الاندماج في الشعوب الأخرى، وتزكي كتاباته روح العداء للأغيار، كتب بالإضافة أشعاره عددا من القصص القصيرة

والمقالات، وخاض غمار أدب الطفل فكتب قصصا موجهة للأطفال. **راه**: **גוברין, נורית**: **ביאליק של אבנר הולצמן**. **עתון 77**, **גל'** 337– 338, **מארס–אפריל 2009** , **עמ'** 22: 25.

(٥) للمزيد حول هذا الموضوع راجع: سناء عبد اللطيف: الاتجاهات الأيديولوجية في أدب الأطفال العبري في إسرائيل، رسالة دكتوراه ، جامعة عين شمس، كلية الآداب، ١٩٩٢م.

(٦) شالوم عليخم **שלום עליכם** (١٨٥٩: ١٩١٦): أديب يهودي ولد في أوكرانيا وتوفي في مدينة نيويورك، وهذا الاسم هو التوقيع الأدبي للأديب (شالوم نحوموفيتش رابينوفيتش **שלום נחומוביץ רבינוביץ**)، وقد كتب نتاجه الأدبي باليديشية وتم ترجمته فيما بعد إلى العبرية على يد عدد من المترجمين، وقد امتاز أسلوبه باستخدام النادرة والدعابة، وكذا الأسلوب الساخر، وقد كتب بعضا من نتاجه الأدبي للأطفال. **אהרוני**, **אריה**: **מאה וחמישום שנה להולדת שלום עליכם**, **מאזנים**, **כרך** 83, **גל'** 3, **2009 עמ'** 2.

(٧)**שלום עליכם**: **הדגל**, **תרגם מיידש**: **אפרים תלמי**, **הוצאת אלונה– מפעלי עתונות בע''מ**, **תל–אביב** , 1981, **עמ'** 5 , 7 .

(٨) **שם**, **עמ'** 10.

(٩)**ה.נ. ביאליק**: **ויהי היום**, **הוצאת ספרית דביר לעם**, **תל–אביב** , 1970, **עמ'** 10: 61 .

(١٠)**שם**, **עמ'** 62: 213 .

(١١)**שם**, **עמ'** 62 .

(١٢)**שם**, **עמ'** 9 .

(١٣)ناتان ألترمان **נתן אלתרמן** (١٩١٠: ١٩٧٠): شاعر وكاتب مسرحي وصحفي ومترجم إسرائيلي، وهو أحد أعضاء حركة إسرائيل الكاملة، حاز على جائزة إسرائيل للأدب في عام ١٩٦٨، تم اختياره لوضع صورته على العملة الإسرائيلية من فئة ٢٠٠ شيكل التي ستصدر بداية من عام ٢٠١٦، له العديد من الأعمال الأدبية ذات الطابع الصهيوني، وقد كتب كذلك في مجال أدب الطفل، **באומגרטן**, **אורה**: **נתן אלתרמן** . **מבחר מאמרים על יצירותיו**, **עם עובד**, **תל– אביב**, 1971, **עם** 7: 26.

(١٤)**אלתרמן**, **נתן**: **זה היה בחנוכה או נם היה פה**, **הקיבוץ המאוחד**, 2001, **עמ'** 13.

(١٥)قامت الباحثة بترجمة كلمة (מַשְׂחֵק لعبة) بمعنى مسرحية لأنها لعبة تمت بآداء تمثيلي.

(١٦)**אלתרמן**, **נתן**: **זה היה בחנוכה או נם היה פה** , **עמ'** 16.

(١٧)كثر خاصة في الثمانينات والتسعينيات تناول موضوع الحرب والعدوان في أدب الأطفال العبري الحديث، فبدت عسكرة الفكر كعملية متدرجة في الأدب الذي استخدم في مناهج التعليم في المراحل المختلفة، رغم أن هذه الفترة هي فترات السلام المزعوم مع العرب، وهذا ما يدل على أن السلام هو هدنة سياسية وليست اتجاها

أصيلا في الأدب والمجتمع الإسرائيلي/ راجع: يحيى محمد عبد الله إسماعيل: عسكرة التعليم في إسرائيل، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد (٣٤)، ٢٠٠٧، ص ١١٣: ١٤٥.

(١٨)راجع: محمد جلاء إدريس: فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد ١٨، ٢٠٠١، ص ١: ٢٥٧.

(١٧)**אטלס, יהודה : ילדים גדולים : סופרים אהובים לילדים – חייהם ויצירתם ,הוצאת ידיעות אחרונות , 2003 עמ' 36 .**

– רודין ,שי: הילדה החדשה: ייצוגי ילדות בספרות הילדים הישראלית לגיל הרך, גיליון 3, עמ' 55: 80 .

(١٩) راجع: أيمن أحمد عطية: قصص الطفل عند ليئة جولدبرج دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، ٢٠٠٧.

(٢٠)**גולדברג, לאה: כובע קסמים, ספרית פועלים, בלי תאריך, עמ' 6.**

(٢١)**שם, עמ' 8.**

(٢٢)**גולדברג, לאה: כובע קסמים, עמ' 14.**

(٢٣)حيا شنهاف **חיה שנהב** (١٩٣٦: ...): أديبة وشاعرة إسرائيلية تخصصت في مجال أدب الأطفال، وحصدت العديد من الجوائز الأدبية، ولدت في مستوطنة (كفر يهوشوع **כפר יהושוע**) في وادي (يزرعئيل **יזרעאל**)، ولدت لأم ألمانية وأب بولندي من مؤسسي المستوطنة ، هي أرملة وأم لثلاثة أبناء، وجدة لعدد من الأحفاد، ولعل هذا ما دفعها لكتابة أدب للأطفال، حصلت على جائزة بياليك لعام ٢٠٠٤ ، من نماذج أعمالها الأدبية (**גנבים בכפר** لصوص في القرية)، (**חתול ירוק** القطة الخضراء).

ראה: גרון, רבקה: דובלה בונה בית (עיון ספרותי והצעות דידקטיות), הד הגן, כרך 56, 1991, עמ' 99: 101.

(٢٤)**שנהב, חיה: דובילה בונה בית, עם עובד, תל–אביב , 2008, עמ' 1, 2, 3.**

(٢٥)**שם , עמ' 23.**

(٢٦)راجع: سناء عبد اللطيف: الأسطورة الشعبية في أدب الأطفال العبري دراسة في المضمون والسمات الأسلوبية، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، ٢٠٠٣، ص ٥٥١: ٦١٨.

(٢٧) انظر: موسوعة مدار–بيديا، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية

/http://www.madarcenter.org

موسوعة–المصطلحات/٥٠٢–كورتشاك،–يانوش

(٢٨)ראה: בלפר, יצחק: הזכרונות חיים איתי, 2013.

http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4404087,00.html

(٢٩)ראה: עדה הגרי–פוזננסקי: אפקים 'סטפה ווילצ'ינסקה – כפי שהייתה ,'עיונים במורשתו של יאנוש קורצ'אק , הוצאת הספרים של אוניברסיטת חיפה,1995, 5 עם' 166: 194.

אורלי פרידמן–בן–שלום: תיעוד ותעודה: סטפה וילצ'ינסקה המחנכת, דור לדור, קבצים לחקר תולדות החינוך היהודי בישראל ובתפוצות, לג, 2008, עם' 193–204.

http://www.daat.ac.il/daat/chinuch/tsuk-2.htm

(٣٠) ראה: צוק, יעקב: אפקים לחינוך ותרבות, זכרונות המחבר ששהה שבע שנים בבית היתומים של קורצ'אק, 1955.

http://www.daat.ac.il/daat/chinuch/tsuk-2.htm

(٣١) للمزيد حول حقوق الطفل راجع: كورتشاك، يانوش: كيف تحب الطفل؟ حق الطفل في الاحترام، ترجمة وتحقيق هاتف الجنابي، ونسيم عون، دار درغام للطباعة والنشر، لبنان، ٢٠٠٢، ص ١: ٢٢٠.

– حقوق الإنسان: مجموعة صكوك دولية، المجلد الأول، الأمم المتحدة، نيويورك، ١٩٩٣، ص ٢٣٧.

(٣٢)ראה: קורצ'אק: דיוני הכנס הבינלאומי במלאת מאה שנים להולדתו חיפה – תל אביב, בית הספר לחינוך – אוניברסיטת חיפה; אוניברסיטת תל– אביב, 1979, עמ' 99–120.

(33) Shimon Sachs, Stefa: Stefania Wilczynskas paedagogische Alltagsarbeit im Waisenhaus Janus Korczaaks, Weinheim: Juventa, 1989.p.3.

(٣٤)راجع: محمد خليفة حسن : دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٥... ص١٩٨ : ٢٠١ .

(٣٥) שם– טוב , תמי: אני לא גנב ,אור יהודה : כנרת, זמורה–ביתן, תל– אביב וירושלים, 2012, עם' 7.

(٣٦)שם, עם' 72.

(٣٧) راجع: وفيق صفوت مختار: مشكلات الأطفال السلوكية، الأسباب وطرق العلاج، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٧: ١٨٠.

(٣٨)שם– טוב , תמי: אני לא גנב, עם' 7.

(٣٩)שם, עם' 7.

(٤٠)שם, עם' 7, 8.

(٤١)שם, עם' 8.

(٤٢) שם, עם' 8.

(٤٣)هدى الحسيني: المشكلات النفسية السلوكية عند الأطفال (كذب. سرقة. عصيان. عدوانية) أسبابها والوقاية والعلاج، المجلة التربوية، المركز التربوي للبحوث والإنماء، وزارة التربية والتعليم العالي، لبنان، د.ت.
http://www.crdp.org/ar/details-edumagazine/5947/6493

(٤٤)بوسيل وايدنمان سكولا برنر: الأطفال ذوو الاحتياجات الخاصة، ترجمة كاريمان بدير ، عالم الكتب ، لبنان، د.ت، ص ٢٧: ٣٤.

(٤٥) نيكولاس تاكر: الطفل والكتاب، دراسة أدبية ونفسية، ترجمة مها حسن، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٩، ص٢٨٧.

(٤٦)**שם– טוב , תמי: אני לא גנב, עם' 9**.

(٤٧) نجلاء نصير بشور: أدب الأطفال العرب، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، ٢٠١٢ ص ٩.

(٤٨) **שם– טוב , תמי: אני לא גנב, עם' 9**.

(٤٩) مجد جابر: نظرات الشفقة لذوي الإعاقة تحول دون دمجهم في المجتمع، الغد، يونية ٢٠١٢.
http://www.alghad.com/articles/614550

(٥٠) **שם– טוב , תמי: אני לא גנב, עם' 140**.

(٥١) راجع: حامد عبد السلام زهران: الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٤٣٠.

(٥٢)**שם– טוב , תמי: אני לא גנב, עם' 10**.

(٥٣) **שם, עם' 25, 26**.

(٥٤)**שם, עם' 97**.

(٥٥) راجع: إبراهيم بن حسن الخضير: الفقر المسئول الأول عن الأمراض النفسية والعقلية، النسخة الألكترونية من صحيفة الرياض اليومية، مؤسسة اليمامة الصحفية، العدد ١٥٣٥٤، ٢٠١٠.
http://www.alriyadh.com/568237

(٥٦) **שם– טוב , תמי: אני לא גנב , עם' 10**.

(٥٧) **שם, עם' 11**.

(٥٨) שם, עם' 13.

(59)Laming, D: Understanding Human Motivation: What Makes People Tick?, Oxford: Blackwell Publishing, 2004, p.17.

(٦٠)**שם– טוב , תמי: אני לא גנב, עם' 9**.

(٦١) **שם, עם' 9**.

(٦٢)**שם, עם' 20**.

(٦٣)**שם, עם' 11**.

(٦٤)שם, עמ' 11.

(٦٥)שביט, זהר : מעשה ילדות – מבוא לפואטיקה של ספרות ילדים ,ההוצאת האוניברסיטה הפתוחה , תל– אביב, 1996 , עמ' 30.

(٦٦)שמיר, אילנה: האנציקלופדיה הישראלית לנוער, הוצאת אנציקלופדיה אביב, כרכים מ 1: 18, 1900: 2000.

(٦٧)שם– טוב , תמי: אני לא גנב , עמ' 12.

(٦٨) שם, עמ' 14.

(٦٩)שם, עמ' 32.

(٧٠) שם, עמ' 14, 15.

(٧١)שם , עמ' 28.

(٧٢)שם, עמ' 29.

(٧٣)حليم بشاي . د : الاغتراب ، مجلة العلوم الاجتماعية ، جامعة الكويت ، العدد الرابع ، ١٩٨١ ، ص ١١٣.

(٧٤) "الأصل اللاتيني لكلمة اغتراب وهو (Alienatus) يعني ذلك الذي لا يمتلك ذاته، بيد أن هذا اللفظ قد اتسع استعماله لاسيما من القرن التاسع عشر."حبيب الشاروني . د : الاغتراب في الذات ، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الأول، الكويت، إبريل. مايو . يونية ١٩٧٩ ... ص ٦٩ .

(٧٥)שם– טוב , תמי: אני לא גנב , עמ' 33.

(٧٦)שם, עמ' 33.

(٧٧) שם, עמ' 12.

(٧٨)שם, עמ' 34.

(٧٩)שם, עמ' 64.

(٨٠)שם, עמ' 86.

(٨١)שם, עמ' 16.

(٨٢) שם– טוב , תמי: אני לא גנב, עמ' 65.

(٨٣)שם, עמ' 65.

(٨٤) שם, עמ' 19.

(٨٥)שם, עמ' 24, 25.

(٨٦)שם, עמ' 34.

(٨٧)שם, עמ' 60, 61.

(٨٨)שם, עמ' 61.

(٨٩)שם, עמ' 101.

(٩٠)שם, עמ' 111.

(٩١)שם, עמ' 116.

(٩٢)שם, עמ' 148, 149.

(٩٣)שם, עמ' 27.

(٩٤)שם, עמ' 30.

(٩٥)שם, עמ' 31.

(٩٦)שם, עמ' 36.

(٩٧)שם, עמ' 89.

(٩٨)إن التجارب التي يخوضها الطفل تمثل وسيلة للوصول إلى المعرفة ودافعها الأساسي هو الفضول راجع: سيجموند فرويد: الموجز في التحليل النفسي، ترجمة سامي محمد علي وعبد السلام القفاش، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠، ص ٤٤.

(٩٩)שם– טוב , תמי: אני לא גנב, עמ' 62.

(١٠٠) ميثاق حقوق الطفل: مجموعة من الحقوق التي ضمنتها الأمم المتحدة للطفل كجزء من ميثاقها لحقوق الإنسان، وقد كانت هذه الحقوق مدرجة من قبل في كتب كورتشاك بطل الرواية التربوية، وضمنها في ميثاق لملجأه الذي يأوي به الأيتام والفقراء من الأطفال. للمزيد حول حقوق الطفل راجع: كورتشاك، يانوش: كيف تحب الطفل؟ حق الطفل في الاحترام، ترجمة وتحقيق هاتف الجنابي، ونسيم عون، دار درغام للطباعة والنشر، لبنان، ٢٠٠٢، ص ١: ٢٢٠.

– حقوق الإنسان: مجموعة صكوك دولية، المجلد الأول، الأمم المتحدة، نيويورك، ١٩٩٣، ص ٢٣٧.

(١٠١) שם– טוב , תמי: אני לא גנב, עמ' 71.

(١٠٢)שם, עמ' 115, 116.

(١٠٣)שם, עמ' 160.

(١٠٤)שם, עמ' 168.

(١٠٦)راجع: إيرك فروم: فن الإصغاء، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤، ص ٨: ٢٥.

(١٠٧) שם– טוב , תמי: אני לא גנב , עמ' 24.

(١٠٨)שם, עמ' 66.

(١٠٩)שם, עמ' 90, 91.

(١١٠)שם, עמ' 118, 119.

(١١١) تجلى من خلال الفقرة السابقة الخطأ اللغوي الذي وقعت فيه الكاتبة من خلال استخدامها للفظ "**לא ביקרתי את מירה**" أي لم تنتقد ميرا بمعنى "**לא ביקרתי אצל מירה**" أي لم تزر ميرا، فقد قصدت هنا عدم قيامه بالزيارة.

(١١٢) שם– טוב , תמי: אני לא גנב, עמ' 119.

(١١٣)שם, עמ' 150, 151.

(١١٤)שם , עמ' 158.

(١١٥)שם, עמ' 70.

(١١٦)שם, עמ' 195.

(١١٧) راجع: السيد نجم: الطفل والحرب في الأدب العبري، دار الكتب، لندن، كتاب رقمي، ٢٠١١ ص٨١: ٨٣.

(١١٨)שם– טוב , תמי: אני לא גנב , עמ' 198.

(١١٩)שם, עמ' 199.

(١٢٠) שם, עמ' 88.

(١٢١)שם, עמ' 200.

(١٢٢)שם , עמ' 200, 201.

(١٢٣)שם, עמ' 99.

(١٢٤) שם– טוב , תמי: אני לא גנב, עמ' 100.

(١٢٥) שם, עמ' 126.

(١٢٦) שם , עמ' 127.

(١٢٧)שם, עמ' 35.

(١٢٨)שם, עמ' 35.

(١٢٩)שם, עמ' 97.

(١٣٠)שם, עמ' 104.

(١٣١)שם, עמ' 18.

(١٣٢)שם, עמ' 18.

(١٣٣)שם, עמ' 18.

(١٣٤)שם, עמ' 21, 22.

(١٣٥)שם, עמ' 17, 18.

(١٣٦)שם, עמ' 29, 30.

(١٣٧)ראה: סלע, מיה. מהפכת הסיפורים של תמי. הארץ, גלריה, (ראיון עם הסופרת בצאת ספרה לאור), בנובמבר 2013, עמ' 4– 5.

(١٣٨)שם– טוב , תמי: אני לא גנב, עם' 38.

(١٣٩)שם, עמ' 119, 120.

(١٤٠)שם, עמ' 120.

(١٤١)تركز الكاتبة جل اهتمامها في الرواية على تأكيد المعاداة لليهود، دون الوقوف على الأسباب والمبررات التي أوجدت هذا العداء، وأقامت هذه الحواجز بين اليهود وغيرهم، ونجد عددا من الكتاب الغربيين وغيرهم يعرضون لهذه القضية واصفين إياها باضطهاد الأغيار لليهود، رغم ما تعرضه كتبهم من سمات اليهود التي تثير الريبة والشك كالعزلة وغيرها/ راجع:

– زين العابدين محمود أبو خضرةتاريخ الأدب العبري الحديث . الجزء الأول / ما قبل الدولة، القاهرة ، د.ن ٢٠١٣ ص ١٥٤، ١٥٥ .

–Roth,Cecil - Colcos, David: Anti-Semitism, Israel pocket library, The two continents publshing Groub A Keter Book, Jerusalem, 1947, p.110 .

إذ نلحظ تجاهلا تاما من قبل الكاتبة لأخطاء اليهود في حق الشعوب الأخرى وتمثل جانب الفضيلة دائمًا، والتغافل عن سلوكيات اليهود المريبة التي تبني حاجزًا من الكراهية والشك في نفوس الآخرين مثل (العزلة– التقوقع على الذات– ابتداع لغة تخصهم وعدم التحدث بلغات أوطانهم التي يعيشون فيها– رفض محاولات دمجهم في المجتمع– عدم المشاركة في المجتمع بنشاط منتج ... إلخ)

(١٤٢)שם– טוב , תמי: אני לא גנב , עם' 121.

(١٤٣)تتفق هذه الفقرة مع أدبيات الأطفال اليهود التي يتم تدريسها في المدارس الإسرائيلية، حيث يوجه الفكر نحو كراهية العالم لليهود، وبالتالي التأثير في النشأ لتقبل فكرة تدني الآخر وخاصة العرب، الذين يوصفون بأبشع الألفاظ في مناهج تعليمية غاية في العنصرية، راجع: خليل السواحري، سمير سمعان: التوجهات العنصرية في مناهج التعليم الإسرائيلية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤، ص ٧٥: ٨٦.

(١٤٤)שם– טוב , תמי: אני לא גנב , עם' 123.

(١٤٥)שם, עמ' 123, 124.

(١٤٦)שם, עמ' 125.

(١٤٧) עלילת הדם تهمة الدم: إن تهمة الدم التي لحقت باليهود من كونهم يستخدمون دماء الأغيار لصنع فطائر الفصح ليست محض افتراء لا أساس له ولا جذور، فنظرة الكتب الدينية اليهودية من التلمود وغيره للأغيار تنتابها العنصرية الشديدة، فكل سمات التحضر والإنسانية يبديها اليهودي نحو اليهودي، في حين أنه لا

يتعامل بها مع غير اليهود، وكذا استخدام الدماء البشرية غير اليهودية في صنع فطائر الأعياد وردت في تلمودهم وفكرهم الديني، وطفقوا بعد ذلك يلومون العالم على اتهامهم بها.

راجع: يس– مزقول: الدماء البشرية في طقوس الأعياد اليهودية، كلية التربية، جامعة الدلنج، السودان، ٢٠١٣، ص ١: ٦، ص٩، ١٠.

– عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الثاني، الجزء الرابع، الباب الثاني، مدخل: تهمة الدم، د.ت.

(١٤٨)שם– טוב , תמי: אני לא גנב, עם' 130, 131.

(١٤٩)שם, עם' 132.

(١٥٠)שם, עם' 133, 134.

(١٥١)هذا الحديث محض افتراء فقد ورد في التلمود ما يثبت ذلك راجع: يس مزقول: الدماء البشرية في طقوس الأعياد اليهودية، ص١: ٦، ص٩، ١٠.

(١٥٢)שם– טוב , תמי: אני לא גנב, עם' 134.

(١٥٣) שם, עם' 170.

(١٥٤) للمزيد حول هذا الموضوع: جمال عبد السميع الشاذلي، نجلاء رأفت سالم: دراسات في الصهيونية، الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، القاهرة ٢٠١٠ ص ١٠٠ : ١١٧.

– جمال عبد السميع الشاذلي: مفهوم النكبة في الرواية العبرية الحديثة ١٩٦٥: ١٩٧٥، رسالة دكتوراة ، كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٩٧.

– أحمد حماد: دراسات في الأدب العبري الحديث، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد ٢٥، ٢٠١٠، ص٣٧: ٤٤.

(١٥٥)שם– טוב , תמי: אני לא גנב , עם' 199, 200.

(١٥٦) كثر التعبير في الأدب العبري الحديث عامة، وفي أدب الأطفال العبري بشكل خاص عن تصوير اليهود دائما على أنهم دعاة سلام، يمدون يدهم للعرب، الذين عادة ما يرفضون هذه اليد الممدودة أو يقابلوها بالعنف والعدوان، وها هي الأدبية تسير على النهج نفسه عارضة لفكرة الاهتمام لأمر العرب الضعفاء والمنبوذين في تصور مغلوط، فالأولى هو الاعتراف بحق العرب في فلسطين بدلا من إدعاء تعاطفها المزيف معهم/ راجع: غانم مزعل، الشخصية العربية في الأدب العبري الحديث، عكا: دار الاسوار، ط١ ، ١٩٨٥، ص ٨٦.

(١٥٠) سناء عبد اللطيف: هكذا يربي اليهود أطفالهم، دار القلم للطباعة، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١١. / راجع: إبراهيم البحراوي (كرئيس فريق بحثي): مفاهيم وثقافة الصراع والعدوان في أدب الأطفال الإسرائيلي ومقررات التعليم الإسرائيلية، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس ٢٠٠٢، ص ٢٠.

(١٥٧)שם– טוב , תמי: אני לא גנב , עם' 131.

(١٥٨) للمزيد راجع: عبد الوهاب محمد الجبوري: فلسفة الانتقام في الفكر اليهودي وانعكاساتها في الأدب العبري، الجمعية الدولية للغويين والمترجمين العرب، ٢٠١٠.

http://www.wata.cc/forums/showthread.php?٨٠٧١٦

(١٥٩) إن التوظيف الصهيوني لما مر به اليهود من أحداث على مر التاريخ كان داعما للهجرة، ومرسخا لدعائم إسرائيل في العصر الحديث، حيث يسوق من المبررات ما يؤكد على صحة اتجاه اليهود إلى إسرائيل كملجأ آمن، وكان ذلك منذ القرن التاسع عشر إذ يقول أحد الباحثين: "دأبت الحركة الصهيونية ، منذ نشأتها نهاية القرن التاسع عشر ، على توظيف مجموعة من الأكاذيب وتحويلها إلى أساطير ثابتة في الوجدان اليهودي، ونشرها عبر وسائل الإعلان العالمية التي يمتلكها اليهود باعتبارها حقائق لا يطاولها الزيف أوالاختلاق. وقد حقق هذا التحايل الكثير من أهداف الحركة الصهيونية في فلسطين، ومكّن اليهود في مختلف بلدان الشتات من كسب مواقع مهمة في السياسة والاقتصاد، وتوفير الدعم للكيان الصهيوني"راجع: إدريس الكنبوري: التوظيف اليهودي والصهيوني لأكذوبة المعاداة للسامية، موقع المقالات، ٢٠٠٢.

http://articles.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=25771

(١٦٠) للمزيد راجع فائزة عبد الأمير نايف الهديب: القيم الصهيونية في الأدب العبري من خلال كتب التعليم الإسرائيلية، الأستاذ، العدد ٢٠٢، جامعة بغداد،٢٠١٢، ص ٩٣٨: ٩٤١.

(١٦١) للمزيد عن موقف الأدباء اليهود من غير اليهود بعد قيام الدولة ، وخاصة الألمان منهم راجع: جمال عبد السميع الشاذلي: النازية في الأدب العبري الحديث، الثقافة الجديدة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٦، ص ٩٦: ١٠٦.

(١٦٢) نقلا عن : فؤاد مرعي : مقدمة في علم الأدب، دار الحداثة لطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ١٩٨١، ص ١٦ .

(١٦٣)שם– טוב , תמי: אני לא גנב , עמ' 74.

(١٦٤)שם, עמ' 33.

(١٦٥)שם, עמ' 136.

(١٦٦)שם, עמ' 136.

(١٦٧)عبد العاطي بو طيب: العتبات النقدية بين الوعي النظري والمقاربة النقدية، جريدة العلم المغربية، (الملحق الثقافي)، السبت ٢٨ إبريل٢٠٠١، ص٦.

–Bernad, Valette: Esthetique Du Roman Moderne, Ed Nothan, Ed Paris, 1993, P.147.

(١٦٨)שם– טוב , תמי: אני לא גנב , הקדמה.

(١٦٩) نقلا عن: سمير عبد الرحيم أغا: عتبات النص الروائي، الحوار المتمدن، العدد ٣٣٥١، ٢٠١١، ص ١.

(١٧٠) שם– טוב , תמי: אני לא גנב, עם' 60.

(١٧١)שם, עם' 66, 67.

(١٧٢)שם, עם' 71.

(١٧٣)שם, עם' 159.

(١٧٤) שם, עם' 25.

(١٧٥)שם, עם' 22.

(١٧٦)שם, עם' 60.

(١٧٧)שם, עם' 61.

(١٧٨)نقلا عن : رينيه ويليك ، أوستن وارن : نظرية الأدب ، تعريب د . عادل سلامة، دار المريخ للنشر ، الرياض، ١٩٩٢... ص ٣٠٥ .

(١٧٩)שם– טוב , תמי: אני לא גנב , עם' 22.

(١٨٠)שם, עם' 71.

(١٨١)שם, עם' 125.

(١٨٢)ראה : בר– און, מרדכי: לזכור ולהזכיר– זיכרון קולקטיבי, משרד הפטחון, 2000, עם' 17.

–Maurice, Halbwacs: On collectuve Memory, Chicago& London, 1999, p. 167: 169.

(١٨٣)ראה : אבן יוסף : מלון מונחי הסיפורת , ירושלים, בלי תאריך , עם' 46 : 50 .

(١٨٤)שם– טוב , תמי: אני לא גנב , עם' 141.

(١٨٥)שם, עם' 203.

(١٨٦)نقلا عن : عبد الرحيم الكردي : الراوي والنص القصصي ، دار النشر للجامعات ، ١٩٩٦ ... ص ٩٤ .

(١٨٧)راجع:جمال عبد السميع الشاذلي، نجلاء رأفت سالم: دراسات في الأدب العبري المعاصر، الجزء الأول، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد ٢٦، ٢٠١٢، ص ١٤٨، ١٤٩.

(١٨٨)ראה: שווימר, יותם. ושוב ההיסטוריה חוזרת. , עם' 2.

(١٨٩)שם– טוב , תמי: אני לא גנב , עם' 205.

(١٩٠)שם, עם' 74.

(١٩١)שם, עם' 75, 76.

(١٩٢)שם ,עם' 76.

(١٩٣)שם, עם' 80, 81.

(١٩٤)שם, עם' 81.

(١٩٥)שם, עם' 85.

(١٩٦) **שם, עם' 81, 82.**

(١٩٧)**שם, עם' 83.**

(١٩٨)**שם, עם' 87.**

(١٩٩)**שם, עם' 97, 98.**

(٢٠٠)مثلت الرواية مزيدا من التعريف بشخصية المربي كورتشاك كما عبر النقاد **ראה: שווימר, יותם. <u>ושוב ההיסטוריה חוזרת.</u> <u>הפנקס</u>: כתב-עת מקוון לספרות ותרבות לילדים, 29 בנובמבר 2012 , עם' 2.**

(٢٠١)**שם- טוב , תמי: אני לא גנב , עם' 146.**

(٢٠٢)**שם, עם' 7.**

(٢٠٣)**שם, עם' 200.**

(٢٠٤)**שם, עם' 203.**

(205)Gerard Genette : Narrative Discourse . An Essay in method , Cornell University . press , TTHACA , Newyork , Translated by Jane E . Lewin ,1980.

(٢٠٦)راجع: مها مظلوم خضر: "المؤتمر العلمي السابع لمعمل توثيق بحوث أدب الأطفال بجامعة حلوان: أدب الأطفال بين الإبداع و التوظيف، المجلد: ١٨١: ١٤٣، ٢٠١١، ص ٩: ٣٥ .

(٢٠٧) كثر الحديث عن الهولوكوست وأفران الغاز وغيرها من المبالغات التي أثبتت الكتابات زيفها، ولعل أشهر تلك الكتابات ما ذكره أحد اليهود الأمريكان بنفسه في كتابه الذي ترجم للعربية، راجع: نورمان فنكلستين: صناعة الهولوكوست... تأملات في استغلال المعاناة اليهودية، ترجمة سماح إدريس، دار الآداب للنشر، بيروت، ٢٠٠٢، ص ١: ١٥٢.

-Dean, Martin: Robbing the Jews - The Cofiscation of Jewish Property in the Holocaust, 1935 - 1945, Cambridge University Press, 2008.p.1: 437.

(٢٠٨)**שם- טוב , תמי: אני לא גנב , עם' 204.**

(٢٠٩)يقول النقاد أن سر نجاح الرواية وانتشارها لا يرجع فقط إلى ما في حكاية الطفل "يانيك" من تأثير في النفس، أو لما في قصة "كورتشاك" من قدوة وعبرة، ولكن ما بثته الكاتبة من أفكار عن ضرورة الهجرة إلى إسرائيل ومدى وجاهة هذه الأفكار، وكذا الحديث عن نهاية "كورتشاك" في خاتمة روايتها، والتعبير عن موضوع المعاداة لليهود،وقد كانت هذه الأفكار أساسا السبب الرئيسي في نجاح الرواية، وقد أدعى أحد النقاد أن الطفل البالغ من العمر ١٢ عاما يمكنه ببساطة استنباط هذه الأفكار والتأثر بها، **ראה: שווימר, יותם. <u>ושוב ההיסטוריה חוזרת.</u> , עם' 2.**

قائمة المصادر والمراجع

*** المصادر والمراجع العربية**

أولا: الكتب

- أحمد حماد: دراسات في الأدب العبري الحديث، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد ٢٥، ٢٠١٠.
- إيرك فروم: فن الإصغاء، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤.
- جمال عبد السميع الشاذلي، نجلاء رأفت سالم: دراسات في الصهيونية، الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، القاهرة ٢٠١٠ .
- ــــــــــــــ: دراسات في الأدب العبري المعاصر، الجزء الأول، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد ٢٦، ٢٠١٢.
- جمال عبد السميع الشاذلي: النازية في الأدب العبري الحديث، الثقافة الجديدة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٦
- حامد عبد السلام زهران: الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٧.
- حقوق الإنسان: مجموعة صكوك دولية، المجلد الأول، الأمم المتحدة، نيويورك، ١٩٩٣.
- خليل السواحري، سمير سمعان: التوجهات العنصرية في مناهج التعليم الإسرائيلية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤.
- رينيه ويليك ، أوستن وارن : نظرية الأدب ، تعريب د . عادل سلامة، دار المريخ للنشر ، الرياض، ١٩٩٢.

- زين العابدين محمود أبو خضرةتاريخ الأدب العبري الحديث . الجزء الأول / ما قبل الدولة، القاهرة، د.ن ٢٠١٣.
- سناء عبد اللطيف : هكذا يربي اليهود أطفالهم، دار القلم للطباعة، القاهرة، ١٩٩٧.
- سيجموند فرويد: الموجز في التحليل النفسي، ترجمة سامي محمد علي وعبد السلام القفاش، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠.
- السيد نجم: الطفل والحرب في الأدب العبري، دار الكتب، لندن، كتاب رقمي، ٢٠١١.
- عبد الرحيم الكردي : الراوي والنص القصصي ، دار النشر للجامعات ، ١٩٩٦.
- غانم مزعل، الشخصية العربية في الأدب العبري الحديث، عكا: دار الاسوار، ط١ ، ١٩٨٥.
- فؤاد مرعي : مقدمة في علم الأدب، دار الحداثة لطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ١٩٨١.
- كورتشاك، يانوش: كيف تحب الطفل؟ حق الطفل في الاحترام، ترجمة وتحقيق هاتف الجنابي، ونسيم عون، دار درغام للطباعة والنشر، لبنان، ٢٠٠٢.
- محمد جلاء إدريس: فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد ١٨، ٢٠٠١.
- محمد خليفة حسن : دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٥.
- نورمان فنكلستين: صناعة الهولوكوست... تأملات في استغلال المعاناة اليهودية، ترجمة سماح إدريس، دار الآداب للنشر، بيروت، ٢٠٠٢.
- نيكولاس تاكر: *الطفل والكتاب، دراسة أدبية ونفسية*، ترجمة مها حسن، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٩.

- وفيق صفوت مختار: مشكلات الأطفال السلوكية، الأسباب وطرق العلاج، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩.
- يحيى محمد عبد الله إسماعيل: عسكرة التعليم في إسرائيل، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد (٣٤)، ٢٠٠٧.
- وايدنمان سكولا برنر: الأطفال ذوو الاحتياجات الخاصة، ترجمة كاريمان بدير ، عالم الكتب ، لبنان، د.ت.
- يس مزقول: الدماء البشرية في طقوس الأعياد اليهودية، كلية التربية، جامعة الدلنج، السودان، ٢٠١٣.

ثانيا: الرسائل العلمية

- أيمن أحمد عطية: قصص الطفل عند ليئة جولدبرج دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، ٢٠٠٧.
- جمال عبد السميع الشاذلي: مفهوم النكبة في الرواية العبرية الحديثة ١٩٦٥: ١٩٧٥، رسالة دكتوراة ، كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٩٧.
- سناء عبد اللطيف: الاتجاهات الأيديولوجية في أدب الأطفال العبري في إسرائيل، رسالة دكتوراه ، جامعة عين شمس، كلية الآداب، ١٩٩٢م.

ثالثا: المقالات

- إبراهيم البحراوي (رئيس فريق بحثي): "مفاهيم وثقافة الصراع والعدوان في أدب الأطفال الإسرائيلي ومقررات التعليم الإسرائيلية"، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس ٢٠٠٢.
- إبراهيم بن حسن الخضير: "الفقر المسئول الأول عن الأمراض النفسية والعقلية"، النسخة الألكترونية من صحيفة الرياض اليومية، مؤسسة اليمامة الصحفية، العدد ١٥٣٥٤، ٢٠١٠.

http://www.alriyadh.com/568237

- إدريس الكنبوري: "التوظيف اليهودي والصهيوني لأكذوبة المعاداة للسامية"، موقع المقالات، ٢٠٠٢.
http://articles.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=25771
- حبيب الشاروني :" الاغتراب في الذات" ، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الأول، الكويت، إبريل. مايو . يونية ١٩٧٩.
- حليم بشاي : "الاغتراب" ، مجلة العلوم الاجتماعية ، جامعة الكويت ، العدد الرابع، ١٩٨١.
- زين العابدين محمود حسن: "شعر ليئة جولدبرج بين النظرية والتطبيق"، مجلة الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ١٩٨٤.
- سمير عبد الرحيم أغا: "عتبات النص الروائي"، الحوار المتمدن، العدد ٣٣٥١، ٢٠١١.
- سناء عبد اللطيف: "الأسطورة الشعبية في أدب الأطفال العبري دراسة في المضمون والسمات الأسلوبية"، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، 2003.
- عبد العاطي بو طيب: "العتبات النقدية بين الوعي النظري والمقاربة النقدية"، جريدة العلم المغربية، (الملحق الثقافي)، السبت ٢٨ إبريل٢٠٠١.
- عبد الوهاب محمد الجبوري: "فلسفة الانتقام في الفكر اليهودي وانعكاساتها في الأدب العبري"، الجمعية الدولية للغويين والمترجمين العرب، ٢٠١٠.
http://www.wata.cc/forums/showthread.php?80716
- فائزة عبد الأمير نايف الهديب: "القيم الصهيونية في الأدب العبري من خلال كتب التعليم الإسرائيلية"، الأستاذ، العدد ٢٠٢، جامعة بغداد، ٢٠١٢.
- مجد جابر: "نظرات الشفقة لذوي الإعاقة تحول دون دمجهم في المجتمع"، الغد، يونية 2012. http://www.alghad.com/articles/٦١٤٥٥٠

- مها مظلوم خضر: "أدب الأطفال بين الإبداع و التوظيف" المؤتمر العلمي السابع لمعمل توثيق بحوث أدب الأطفال بجامعة حلوان: ، المجلد: 181: 143، 2011.
- نجلاء نصير بشور:" أدب الأطفال العرب"، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، 2012 .
- هدى الحسيني: "المشكلات النفسية السلوكية عند الأطفال (كذب. سرقة. عصيان. عدوانية) أسبابها والوقاية والعلاج"، المجلة التربوية، المركز التربوي للبحوث والإنماء، وزارة التربية والتعليم العالي، لبنان، د.ت.

http://www.crdp.org/ar/details-edumagazine/5974/6493

رابعا: الموسوعات

- موسوعة مدار–بيديا، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية

http://www.madarcenter.org/

- موسوعة–المصطلحات/502–كورتشاك،–يانوش.
- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الثاني، الجزء الرابع، الباب الثاني، مدخل: تهمة الدم، د.ت.

*** المصادر والمراجع العبرية**

أولا: المصادر

- **אלתרמן, נתן: זה היה בחנוכה או גם היה פה, הקיבוץ המאוחד, 2001.**
- **גולדברג, לאה: כובע קסמים, ספרית פועלים, בלי תאריך**
- **ביאליק, ח.נ.: ויהי היום, הוצאת ספרית דביר לעם, תל-אביב , 1970.**
- **שלום עליכם: הדגל, תרגם מיידש: אפרים תלמי, הוצאת אלונה-מפעלי עתונות בע''מ, תל-אביב , 1981.**
- **שם- טוב , תמי: אני לא גנב ,אור יהודה : כנרת, זמורה-ביתן, תל-אביב וירושלים, 2012.**
- **שנהב, חיה: דובילה בונה בית, עם עובד, תל-אביב , 2008.**

ثانيا: المراجع

- **אטלס, יהודה : ילדים גדולים : סופרים אהובים לילדים - חייהם ויצירתם ,הוצאת ידיעות אחרונות , 2003 .**
- **באומגרטן, אורה: נתן אלתרמן . מבחר מאמרים על יצירותיו, עם עובד, תל- אביב, 1971.**
- **בר- און, מרדכי: לזכור ולהזכיר- זיכרון קולקטיבי, משרד הפטחון, 2000.**
- **עדה הגרי-פוזננסקי: אפקים 'סטפה ווילצ'ינסקה – כפי שהייתה ,'עיונים במורשתו של יאנוש קורצ'אק , הוצאת הספרים של אוניברסיטת חיפה,1995.**
- **קורצ'אק: דיוני הכנס הבינלאומי במלאת מאה שנים להולדתו חיפה – תל אביב, בית הספר לחינוך – אוניברסיטת חיפה; אוניברסיטת תל-אביב, 1979.**
- **שביט, זהר : מעשה ילדות - מבוא לפואטיקה של ספרות ילדים , ההוצאת האוניברסיטה הפתוחה , תל- אביב, 1996.**

ثالثا: المقالات

- **אהרוני, אריה: מאה וחמישום שנה להולדת שלום עליכם, מאזנים, כרך 83, גל' 3, 2009.**
- **אורלי פרידמן-בן-שלום: תיעוד ותעודה: סטפה וילצ'ינסקה המחנכת, דור לדור, קבצים לחקר תולדות החינוך היהודי בישראל ובתפוצות, לג,** http://www.daat.ac.il/daat/chinuch/tsuk-2.htm.2008
- **בלפר, יצחק: הזכרונות חיים איתי, 2013.**
  http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4404087,00.html
- **גוברין, נורית: ביאליק של אבנר הולצמן. עתון 77, גל' 337- 338, מארס-אפריל 2009 .**
- **גרון, רבקה: דובלה בונה בית (עיון ספרותי והצעות דידקטיות), הד הגן, כרך 56, 1991.**
- **דר, יעל: לקרוא על הקושי לקרוא. הארץ, מוסף ספרים, גל' 381 ביוני 2000.**
- **דר, יעל. בדיוק לימי החופש. הארץ, מוסף ספרים, גל' 490 ביולי 2002.**

- **סלע, מיה. מהפכת הסיפורים של תמי. הארץ, גלריה, (ראיון עם הסופרת בצאת ספרה לאור), בנובמבר 2013.**
- **פרלסון, ענבל: עקבות האבא דרך הדואר האלקטרוני. הארץ, מוסף ספרים, גל' 31 בפברואר 1999.**
- **פרס זאב: נימוקי ועדת השופטים להענקת פרס זאב לספר "רק בשביל מילי", מאת תמי שם טוב / ד"ר מירי ברוך, ד"ר סלינה משיח, גרשון ברגסון: ספרות ילדים ונוער, שנה 25, חוב' ב' 1998.**
- **צוק, יעקב: אפקים לחינוך ותרבות, זכרונות המחבר ששהה שבע שנים בבית היתומים של קורצ'אק, 1955.**

http://www.daat.ac.il/daat/chinuch/tsuk-2.htm

- **רודין ,שי: הילדה החדשה: ייצוגי ילדות בספרות הילדים הישראלית לגיל הרך, גיליון 3.**
- **שווימר, יותם. ושוב ההיסטוריה חוזרת. הפנקס: כתב-עת מקוון לספרות ותרבות ליילדים, 29 בנובמבר 2012 .**

رابعا: الموسوعات والمعاجم

- **אבן יוסף : מלון מונחי הסיפורת , ירושלים, בלי תאריך.**
- **שמיר, אילנה: האנציקלופדיה הישראלית לנוער, הוצאת אנציקלופדיה אביב, כרכים מ 1: 18, 1900: 2000.**

*** المصادر والمراجع الأجنبية**

- Bernad, Valette: Esthetique Du Roman Moderne, Ed Nothan, Ed Paris, 1993.
- Dean, Martin: Robbing the Jews - The Cofiscation of Jewish Property in the Holocaust, 1935 - 1945, Cambridge University Press, 2008.
- Gerard Genette : Narrative Discourse . An Essay in method , Cornell University . press , TTHACA , New york , Translated by Jane E . Lewin , 1980.
- Laming, D: *Understanding Human Motivation: What Makes People Tick?,* Oxford: Blackwell Publishing, 2004.
- Maurice, Halbwacs: On collectuve Memory, Chicago& London, 1999.
- Roth,Cecil - Colcos, David: Anti-Semitism, Israel pocket library, The two continents publshing Groub A Keter Book, Jerusalem,1974.

- Shaked,Gershon: Hebrew Writers ,Institute for translation of Hebrew literature, Israel, 1993.
- Shimon Sachs, Stefa: Stefania Wilczynskas paedagogische Alltagsarbeit im Waisenhaus Janus Korczaaks, Weinheim: Juventa, German, 1989.